اللغة والحضارة

د. ابراهيم السامرائي

المؤسسة العربية للدراسات والنشر

اللغة والحضارة

الدكتور ابراهيم السامرائي

اللغة والحضارة

المؤسسة العربية للدراسات والنشر
بناية متعدي وصالحة - ص.ب: ١١/٥٤٦٠
بناية برج شهاب - تلة الخياط - ص.ب: ١٩٥١١٩
برقياً : موكيالي - بيروت

الطبعة الاولى

بيروت ـ ١٩٧٧

مقدّمة

اننا نواجه مشكلة لغوية هي اننا نعرب بلغة دارجة ونتشبث في الوقت نفسه بلغة فصيحة . وان تعلقنا بالنمط الاول أشد وألصق من اعتمادنا على اللسان الفصيح وذلك لاننا لا نجتهد في فهم اللغة الفصيحة ولا نكلف انفسنا عناء التزامها واخذها ومباشرتها في سلوكنا اللغوي . هذا يعني ان هذه الفصيحة توشك ان تكون حالها حال اية لغة اجنبية نتعلمها تعلما . ومن هنا اننا فقدنا السليقة اللغوية الفصيحة فلا ننطلق بها انطلاق بديهة وانما نعالجها علاجا .

قد يقال : لِمَ لا نعدل عن هذا اللون الفصيح الى اللون الدارج؟ ان سؤالا كهذا وضعه جمهرة من المعنيين بالعربية بين عرب وشرقيين ومستشرقين ، وقد يكون بعض هؤلاء نزيه القصد صادق النية ولكن من غير شك ان بين اولئك نفرا تحفزه ذمة فاسدة فلا يرجو لهذه الامة خيرا .

ان هدف هذه الدراسة ينحصر في علاقة اللغة بالحضارة ، ومن غير شك فان تطبيقات هذه العلاقة تقودنا الى العربية والحضارة .

ان اللغات تختلف فيما بينها كما تختلف حضارات الشعوب ، وتكتسب اللغة بالتعلم لانماط تتصف بسلوكية لغوية خاصة . ومن

هنا تكون اللغة مادة حيـة متطورة تخضع لتجارب الناس وحاجاتهم وبيئتهم الطبيعية والاجتماعية . ان التطـور الاجتماعي قـد يخلق صعوبات جمة تنعكس على اللغة ، وهذا مـا عرض للعربية في عصرنا الحديث فكيف يتم التغلب على ذلك .

ان اللغات العريقة والفنية بموادها الحضارية تخرج من هذه المحنة بسلام ، في حين لا يتأتى شيء من ذلك لما يسمى بـ « اللغات البدائية » . وبسبب من هذا لجأ كثير من الشعوب » النامية » الى حل لا يقوم على اساس من تاريخها وحضارتها . لقد استعارت هذه الشعوب لغة حيـة مـن اللغـات الغربية واتخذتها مـادة لحضارة جديدة ، ودرج المتعلمون من ابنائها على استعمالها ، ومن هذه اللغات الانكليزية والفرنسية . ولعل سبب ذلك ان هذه الشعوب كـانت خاضعة لحكم استعماري فرض عليها هذا اللون من السلوك اللغوي. ثم انها لا تملك من تراثها الحضاري ما تستعين به على توفير الاداة الحضارية اللغوية .

ولا بد لنا ان نعرض لمسائل في هذه الدراسة منها :

١ ـ الحضارة

من الكلمات العسيرة فهي تعني لغة سكنى الحضر او الحاضرة مقابلة للبداوة قال الشاعر :

ومن تكن الحضارة اعجبته   فاي رجـال بـادية ترانـا

غير انها في عصرنا الحاضر اتسعت اتساعا كبيرا فهي تؤدي مـا تؤديـه «Culture» فـي اللغـات الاوروبية وقد تؤدي معنى Civilisation ، غير ان الباحثين يميلون الى ان تكون الثانية مقابلة لكلمة « المدنية » التي شاعت في عصرنا الحديث واشتقت من

« المدينة » على طريقة النسب في العربية القديمة ، او على طريقة المصدر الصناعي .

ان الحضارة لا تعدو ان تكون جماع ما تواضع عليه الناس من امور واحوال ومفاهيم ورثوهـا عن آبائهـم واسلافهم او ولدوها استجابة لحاجة من حاجات العصر . وجملة هذا الموروث او المولّد يؤلف نظاما حضاريا يبدو جليا في سلوك الفرد او الجماعات .

٢ ـ اللغة سلوك وفكر لا يخلوان من التعقيد . فهـي سلوك من الناحية النفسية يستجيب فيه المـرء الى ما يحفزه في بيئته من حوافز . وهي مـن هنا كانت ظاهـرة اجتماعية لانهـا تفرض على صاحبها ان يتأثـر بغيره مـن النـاس فيتصل بـه ويستجيب لما يراد منه .

غير ان هذا الضرب من السلوك يختلف كل الاختلاف عـن ضروب السلوك الاخرى ، ذلك ان اللغة مادة موضوعية ذات حقيقة فكرية ، بل تكون الفكر مجسدا في الرموز . وهي من هنا تختلف عن سلوك الانسان ونشاطه كالمشي والقيام والقعود .

تشتمل اللغة على نظام صوتي ينسجم في اصوات عدة يتألف منها بناء ضخم يعكس الفكر في خطراته ومسيرته . ومن هنـا كانت اللغة حياة متصلة ، وهذا يعني انها مادة متطورة متجددة متفاعلة مع الزمان والمكان .

ان التطور الذي يعرض للغـة يتنـاول مادتها أي مجاميعها الصوتية واقصد بذلك الالفاظ ، وكيف يتهيأ لالفاظ ان تبقى وتتطور في الاستعمال ، كما تقضي عوامل اخرى على ان تندثر الفاظ كثيرة . ثم ان هذا التطور يعرض لطبيعة الاصوات وصفاتها ، ولا عجب فقد فقدت العربية اصواتا عدة عرفت في اللغات السامية الاخرى كصوت « الباء » الذي نجده في اللغـات الاعجميـة كمـا يعبر عنه بالرسم

اللاتيني P . ومثل ذلك الصوت الذي يرسم في الانكليزية V .

ومن ينظر في كتب الاصوات القديمة مـن مصادر اللغـة والقراءات يشهد عجبا في صفات الاصوات وكيف كان المعربون قبائل وجماعات وافرادا يخرجونها ، ثم كيف تحولت في عصرنا الحاضر في اقاليمنا العربية . ولا نحسب ان هذه الاصوات استقرت على نحو واحد في هذه الرقعة الفسيحة من الوطن العربي .

ولعلنا نخرج من ذلك الى اننا نستطيع ان نلمح انماطا عدة في طبيعة اللغة هي :

١ ـ انها تختلف طبيعة بين الافراد أنفسهم لما يعرض لهم من عوامل بيئية ونفسية وطبيعية .

٢ ـ انها تختلف طبيعة بين الجماعات وهو ما ندعوه بـ « اللهجات ».

٣ ـ انها تختلف بـين اللغة الفصيحة المدونة والنمط الدارج ممـا يدرج على الالسنة .

مـا اللغة الحضارية ؟

من غير شك ان هناك لغات متحضرة ولغات متخلفة وهذا مما لا شك فيه متأت من ان الشعوب يختلف بعضها عن بعض في المستوى الحضاري، ذلك ان بين هذه طائفة ذات اصول عريقة في الحضارة، في حين ان طائفة اخرى قد اخذت بشيء من اسباب التقدم فـي مطلع عصرنا هذا .

وقد اشرت الى ان التقدم الحضاري لا بد ان تظهر طبيعته في اللغة ، فاللغة الحضارية هي تلك التي سلخت من عمرها احقابا طويلة فكانت مرآة لادب قويم عال وفكر ثاقب متفاعل . وهذا يعني في المنطق اللغوي ان تشتمل على الفاظ كثيرة شاملة لمدلولات كثيرة تعبر عن حاجات مختلفة عرضت للناس في مختلف العصور .

وليس ادل على المستوى الحضاري للعربية من وفرة الالفاظ الخاصة التي تجاوزت الحاجات اليومية ذلك ان جمهرة من المصطلح العلمي قد توفر في العربية قبل اكثر من الف سنة .

اننا نستطيع ان نجرد معجما لمعارف جمة لا يشتمل الا على ألفاظ العلوم المختلفة وهذا خير دليل ان في هذه اللغة طاقة للتعبير عن الحضارة في ادبها وفنها وعلومها الدقيقة .

سأتناول في هذه الدراسة قدرا من الفصول التي تكشف عن قدم العربية واصالتها وطاقتها المبدعة للاعراب عن الألوان الحضارية .

ابراهيم السامرائي
بغداد ــ كلية الآداب

العربية والبيئة

من المفيد ان اعرض للعربية في اقاليمها المختلفة ، وسآتي في هذا الموجز على العربية في المغرب العربي ، ولا اريد ان اقول باستحسان لهجات العراق وابتعاد لهجة المغرب مثلا عن عربية البلدان الاسلامية الاخرى كما ذهب الى ذلك ابو عبدالله محمد بن احمد المقدسي المتوفى سنة ٣٧٥ في كتابه « احسن التقاسيم في معرفة الاقاليم » .

والكتاب ، كما يدل عليه عنوانه من كتب البلدان وصاحبه من الجغرافيين العرب المعروفين . وسأعرض للعربية في المغرب العربي .. وهي الاقطار الممتدة من ليبيا فتونس فالجزائر فالمغرب الاقصى .

والحديث عن العربية في هذه الديار ذو شجون ، فقد ابتليت هذه الاقطار بحكم اجنبي ظالم بغيض ، عمل على طمس معالم الثقافة العربية الاسلامية ، فقد سيطر الايطاليون على ليبيا طوال مدة تنيف على ربع القرن ، ويسروا للغتهم الايطالية ما وسعهم الامر ، ونشروا ثقافتهم بما يضمن بقاءهم في هذا القطر العربي ، ومن ثم تقلص ظل العربية ولا سيما في بلد انتقل من العهود التركية المظلمة الى عهد جديد استعماري يصرف الامر فيه مستعمر غريب لا يمت الى هذه التربة الطيبة بسبب .

على اننا نحن ، في المشرق ، ممن يهمهم الامر لا نعرف عن ثقافة هذا البلد وعن لهجته العربية الا مـا دوّنه الايطاليون في مقالاتهم وبحوثهم التي نشروها في مجلاتهم الاستشراقية ، واصطلاح المشارقة مقابل للمغاربة وهو ما اعتاد القوم في هذه الديار اطلاقة على العرب في الشرق ، أي على العرب في الرقعـة المحصورة بـين مصر وبلدان الخليج العربي .

ولا اريد ان اترك الكلام على ليبيا دون ان اشير الى ان الايطالية قد أبقت في لهجتها السائرة آثارا وذلك في كثير مـن الشؤون التي تخص الادارة العامة ، وفـي كثير مـن المسائل التـي تتصل بالحياة الحضرية ، وهذا التأثر شيء طبيعي يحصل في كثير مـن اللهجات او قل مـن اللغات غـير المتطورة والتـي اصيبت بالجمود والتأخر فاقتصرت على الـوان محدودة بحيث اصبحت لا تستطيع اللحاق بالحياة الجديدة السريعة .

ولقد فطن القوم الى ان العربيـة مشكلة مـن المشكلات التي تستلزم الحل الصحيح ولا سيما لهذه البلدان التي بدأت حيـاة جديدة من تاريخها بانسلاخها عن حكم الاجنبي البغيض وبسبب ذلك عادت للعربية مكانتها في تونس فهي لغة الشعب كافة وهي لسان الآباء والاجداد الذين حفظوا لهذه الاقطار امجادها ، فليس للقوم اذاً الا العمل على ازدهارها ونشرها وتطويرها لهذه الجمهرة الكبيرة من الناس التي عمل المستعمر الجائر على حرمانها من تعلم لغتها .

والمشكلة هينة في تونس بالنسبة للقطر الجزائري وذلك لان سطوة هذا المستعمر الظالم غيرها في الجزائر ، ولانه اقام في تونس زمانا أقل منه في الجزائر ، ولان التونسيين قـد ابقـوا معاهدهم العلمية العامرة كالجامعة الزيتونية بالرغم مما وضع الحكم الجائر من عراقيل ، ومعلوم ان نوع الحكم الذي مارسه المستعمر في تونس غيره في الجزائر التي صيرها مقاطعة فرنسية .

قلت لقد فطن التونسيون الى هذه المشكلة ومن ذلك ما عمدت اليه مجلة الفكر عندهم فخصت بهذه المشكلة احد اعدادها. وتحدث في مختلف جوانب الموضوع عدد من الكتاب التونسيين واستعانوا بالمستشرقين ممن عنوا بهذه المسألة قبل ريجيس بلاشير وروبرت برنشفيغ وجان بيرك ، والمقالات كلها تدخل في باب حياة اللغة العربية والوسائل العملية لضمان هذه الحياة ، والمقالات هي نهوض الثقافة العربية وخواطر اجتماعية حول اللغة العربية ، واللغة الفصيحة لغة اعتزاز وخطوات عملية والمشكلات العملية التي تعترضنا في استعمال العربية ونشرها ومشكلات الامكانيات اللغوية . وتعريب التعليم ، والمعربات العلمية في اللغة العربية وملاحظات حول لغة القرآن .

واهتمام اصحاب الامر في تونس باللغة وبحث هذه المشكلة امر يتطلبه موضوع تيسير الثقافة الحديثة بلغة البلاد ذلك ان الشباب المثقف ممن درس في المدارس الحكومية او ممن درس في فرنسا لا يعرف العربية الفصيحة ولا يستطيع ان يكتب بها او يعرب بها في مقام جدي ان حَزبه امر من الامور . ولقد عرفت من هؤلاء ممن يدرسون الحقوق وممن تؤهلهم دراساتهم الى الاشتغال في المرافق العامة او الجهات الفنية او ممن سيتوجه الى المحاماة ولكنهم لا يعرفون من هذه العربية الا بضاعة يسيرة لا تعين على شيء ، ولا تصلح اداة لعمل مثمر جدي في عصرنا الحديث ، وهم من اجل هذا يبرقشون كلامهم رضوا ام لم يرضوا بالتعابير الفرنسية ولم يكن ذلك تصنعا وتحذلقا فيهم على نحو ما يفعل المتفيهقون من المشارقة الذين يعرفون العربية ولكنهم يعدلون عنها الى الالفاظ الاجنبية عملا بالهيام بالجديد الوافد من الغرب او ما يطلق عليه في اللغات الاوروبية بـ Snobisme .

ولم تسلم العربية عند الفريق الذين تعلموها في الزيتونة وغيرها من المعاهد الاسلامية من آثار الفرنسية فقد طبعت هذه

اللغة العامرة المتطورة العربية التونسية بطابعها . وربما استطاع المشارقة ان يلمحوا هذه الآثار في كتابات اخواننا من الكتاب التونسيين ، فهي زاخرة بالاساليب المترجمة ، واقصد بالاساليب المترجمة طرق التعبير الفرنسية مما لم تألفه العربية الفصيحة ، وموضوع ترجمة الاساليب وطرق التعبير باب واسع في اللغة الحديثة ، ولم تسلم منه اللغة العربية في مختلف الاقطار ، ولعل سبب ذلك راجع الى حاجة العربية الحديثة الى تنويع الاساليب وفقا لمتطلبات الحياة الحديثة من ناحية ، والى جهل المعربين والمتكلمين بالعربية الفصيحة وطرق التعبير فيها ، وذلك لان طائفة كبيرة من هذه الاساليب المترجمة مما لا تفتقر اليه العربية افتقارا اصيلا .

على ان تأثر العربية الفصيحة في تونس بالفرنسية مما كان له طابع سلبي وذلك انك تجد فيها الوانا ركيكة تبعد اناقة العربية وجمالها وفصاحتها ، فليس من الميسور علينا ادراك قول احدهم :

« جاحدا اكون اذا انا بوصفي عربيا لم اشكر الاستاذ الفلاني الخ » وذلك في مقال نشرته مجلة الفكر التونسية فما اغنى العربية السمحة السهلة عن هذه الفوضى الكلامية .

وليست العربية في المغرب الاقصى بأسعد حظا منها في تونس وذلك للاسباب التي اشرنا اليها .

ومن المفيد ان نعرض للادب التونسي لنعين صفحة اخرى مما عرض للعربية التونسية من تطور ولتنجلي امامنا صورة هذه العربية في اقليم من اقاليمها ، وكنت قد نشرت في « المعلم الجديد » شيئا عن تاريخ الادب التونسي الحديث وعرضت فيه للقديم والحديث والعوامل التي اثرت في هذا الادب وقد ذكرت ان الادب القديم متمثل في الشعر دون النثر فلم يعرف ادباؤه ادب المقالة او ادب القصة او

فنون الادب الاخرى ، ثم ان الشعر الذي درج عليه هؤلاء الناس لا يتعدى المناسبة التي يقولون فيها كما هي الحال في كثير من البلاد العربية كأن يقولوا في ذكرى المولد النبوي او تهنئة بالعيد او في تحية قائد مظفر الى ما هنالك من المناسبات ، والمناسبة قد تكون جليلة في قدرها ، عظيمة في موضوعها ، غير ان اختيار الشاعر او اضطراره مكرها على ان يقول فيها مما لا يحمده النقاد في الادب ، ذلك ان الشاعر لا يستطيع ان يأتي الا بالتقليدي من الادب مما قام على ما اشتهر وما عرف بين الناس شكلا ومعنى ، على ان الشاعر المبدع المفلّق ليستطيع ان يأتي حتى في المناسبة بالشيء الحسن وربما كان حسنه هذا ليس شيئا ذا غناء بالنسبة لما عرف عنه من ابداع .

وكأن الامر في تونس غير هذا فلم يستجب الادباء التقليديون للمناسبات العامة بيسر كالذي يحدث في ديار الشرق العربي ، ولقد احسن اصحاب الامر في هذه الناحية وعملوا على حث الادباء واغرائهم في المشاركة والاستجابة للموضوعات الوطنية . ولقد منح الرئيس التونسي الجوائز لاولئك الذين قالوا في الذكرى الاولى لعيد الاستقلال وقد تبارى هؤلاء الادباء في مسابقة لتحية عيد الاستقلال وتخليد هذه الذكرى السعيدة ، وكان تشجيعه مطلقا للقرائح وحاثا على بعث حركة ادبية من ركود يكاد يكون تاما ، ومحصول الادب في هذه المواسم قصائد من نوع ما نوهنا به وهو شعر يهدف لغاية شريفة وغرض سام ولكنه تقليدي في معناه .

وقد القيت القصائد في اجتماعات كبيرة تراسها السيد الحبيب بورقيبه ، وقد سموها بالاسواق الشعرية وتسميتها بالاسواق اشارة الى المواسم الشعرية القديمة في تاريخنا الادبي ، وكان اول هذه المواسم الادبية سنة ١٩٥٧ م ، وقد اطلقوا عليه اسم (عكاظ) وحديث عكاظ معروف لدارسي الادب العربي ، وقد اقيم

هذا الموسم والتأم الجمع في مدينة قديمة من مدن التاريخ العربي الاسلامي وهي القيروان ، مدينة القائد عقبة بن نافع وربما كان الاجتماع في جامعها الشهير اليوم (بجامع سيدي عقبة) ، وقد كان الاجتماع ليلة المولد النبوي الشريف وكان المتبارون في السوق كما اصطلحوا عليه نحوا من اربعين شاعرا ممن نظموا شعرا فصيحا بعربية فصيحة ، وما يزيد عن الخمسين من شعراء الملاحم البدوية على طريقة الشعر الشعبي وقد فاز من بين هذا العدد نحو من واحد وعشرين شاعرا فصيحا واثنين من شعراء الشعر الشعبي وقد وزعت الجوائز في احتفال مهيب .

وقد جمعت هذه القصائد في كتاب سموه بعكاظية تونس لعام ١٩٥٧ م ، ثم اعيدت التجربة العكاظية سنة ١٩٥٨ م بمدينة المنستير وهي مقر مولد الرئيس التونسي وقد شارك في هذه السوق الثانية نحو من اربعين شاعرا . ولا اريد ان اتحدث عن (العكاظيات) فنرى طريقة التأليف وكيف انها ما زالت تجري على النهج القديم ، فقد صنف المتبارون طبقات يأتي بعضها بعد بعض شأنهم في ذلك شأن اصحاب كتب الطبقات في التاريخ العربي الاسلامي كطبقات الشعراء وطبقات المحدثين وطبقات المؤرخين وطبقات الاطباء وغير هذا وذاك .

وهذه الكتب قد صنفت طبقات اعتمادا على ما اجمع عليه النقاد واصحاب العلم في مختلف هذه العلوم ، غير ان طبقات العكاظيات تختلف عما اتبعه الاقدمون من اسس التصنيف ، فقد صنف المتبارون طبقات بمقدار ما احسنوا في تخليدهم ذكرى الاستقلال الوطني وبمقدار ما اثيبوا من جوائز مالية لقاء ما احسنوا فيه . فهناك شعراء الطبقة الاولى ، وشعراء الطبقة الثانية ، وشعراء الطبقة الثالثة ، وشعراء الطبقة الرابعة ، ولا بد ان اقتطع شيئا من كلمة سيادة الرئيس التونسي في هذه المناسبة لعلاقة ذلك بتصنيف

هؤلاء الادباء ولان ذلك يؤلف مادة فـي النقد ، والنقد هو الذي هيأ للاقدمين وللمحدثين ان يصنفوا ارباب العلم واصحاب الادب في اصناف واقسام .

يقول الرئيس التونسي : « ولم نعتمد فـي الترتيب الا على الروح الشعرية اولا ، وقد لاحظنا وجود طبقة مـن اصحاب (الكلام الموزون) وهو الشعر المسبوك الفاقد للروح والحيوية والذي تصل القصيدة فيه الى المائة بيت او اكثـر مـن ذلـك ولكنها لا تؤثر في السامع ولا تحدث التجاوب المنشود ، وان الاحداث التـي مـرت بالبلاد التونسية منذ ربع قـرن ، واطوار الجهـاد وطـرق الكفاح وظروف النصر ومختلف الاصلاحات بل الانقلابات التي حدثت فـي كل الميادين قد عاشها الشعـراء وتناولوها فـي اشعارهم وفتحت قرائحهم وكنت انتظر استتبـاب الامـن لاكتشاف العباقرة الذين خلقتهم تلك الاحداث كما خلقت احداث ماضية المتنبي وابا تمام والرصافي وشوقي والشابي » .

وفي هذه الكلمة نجد ان الرئيس التونسي يبني التصنيف على اسس نقدية صحيحة ، وتسميته الشعر المسبوك بالكلام الموزون نظر فني صحيح ذلك ان هذا النوع يفتقر الى عناصر فنية كثيرة وان احتفظ بالشكل المسبوك القائم على التفاعيل الدقيقة . ثم ان فـي الكلام حثا ضمنيا وصريحا لهؤلاء الادباء وانهم يجب ان يكونوا محور المعركة وان يكـون لهم في بنـاء الوطـن اثرهـم البارز وان يسهموا بنصيبهم في بناء الحضارة والمدنية وطبيعي ان يحاط هؤلاء بالرعاية وأن يثابوا الثواب الحسن . والى هذا يشير في قوله : ذلك ما كنت اؤمله وقد تحقق ، ويسرني اني استمعت الى قصائد تعتز بها تونس كما تعتز بأبي القاسم الشابي وابن هاني وابن شرف .

ولا بد ان نعرض لشعراء الطبقة الاولى وهم الصادق مازيغ

واحمد المختار الوزير ومحمد الشعبوني والهاشمي زين العابدين ومحمد الناصر الصدام ومحمد بن ابراهيم بن حميدة ، ثم لا بد ان نعرض في مباحث لاحقة لبقية هؤلاء الادباء ممن دخلوا في طبقات العكاظية لعام ١٩٥٨ م .

ويبدو من هذه الطبقات ان الادباء التونسيين ممن درجوا على النهج القديم ، كثيرون وانهم على كثرتهم ما زالوا مجهولين في كثير من الاقطار العربية ، فلم يكتب لاحد منهم ان يشيع ذكره ويذيع خبره بيننا نحن المشارقة وهذا يصدق على الادباء كافة في الشمال الافريقي فما زالوا مجهولين بيننا في أي قطر من الاقطار العربية ، ولا بد ان استثني من الادباء التونسيين أبا القاسم الشابي وهو ممن لا يدخلون في هذا التصنيف وربما خصصناه بحديث قابل فهو يختلف عن هؤلاء التقليديين وربما كان ايضا البادىء في النهج الحديث في تونس وسنبحث كل هذا في الحديث عن الادب التونسي ذي النزعة الجديدة .

ولا بد من كلمة اخيرة في هذا الادب التقليدي وهو كونه ما زال محتفظا بالاصول مما جرى عليه الاقدمون مما هو داخل في الشكل كالقافية والوزن فلم يقولوا شيئا كالذي جربه دعاة الجديد في اطلاق الشعر من القيود .

ومن المفيد ان اشير الى ان الادب الجديد في تونس مادة اخرى كنظائرها في سائر اقاليم العربية . وهو جدير بالدرس والبحث . والادب الجديد لا يتصف باقليمية كالادب التقليدي فلا يستطيع الباحث ان يحس فرقا بين نماذج ادبية في قطر عربي ونظائرها في قطر عربي آخر . اقول : لعل هذا العصر الجديد والحضارة الجديدة بمشكلاتها المختلفة قد وحدت التفكير بين ابناء العربية . واذا كان من فرق بين ادباء الاقطار فانما يكون بالقدر الذي تفرضه مشكلات

محلية ضيقة، فأما القضايا الكبرى فهي متشابهة. هي قضايا الانسان المعاصر في البلدان المتطلعة الى الحرية والحياة المنظمة .

ومن هنا تبرز المشكلة اللغوية وهي عينها في هذا البلد او ذاك.

ان العربية المعاصرة تقف موقفا حرجا ازاء الحضارة الانسانية المعاصرة ، ولكننا نحن معاشر العرب لم ندرك جسامة هذه المشكلة تمام الادراك ، فلم يكن لنا من الاداة اللغوية ما يعين على ترجمة الفكر الجديد .

لعل من المفيد ان اعرض لمشكلة تتأتى من ان جمهرة من مثقفينا لا تملك من العربية قدرا يعين على ان تعرب عما تضطرب فيه بيسر فكيف اذا كان الامر يتعلق بالمشكلات الفكرية التي يأتي بها العصر كل يوم . ان هذا ما يفرض علينا ان نقف من المشكلات اللغوية وقفة حازمة لندرك منها الطرائق التي تجعل لغتنا لغة الحضارة المعاصرة .

اللغة والحياة

قد يكتب للغة ان تنتشر في البلاد وتلهج بها شعوب كثيرة، وقد يكتب لها ان تنعزل في بقعة من البقاع حتى تستحيل مع الزمان الطويل الى شيء آخر يختلف عن اصلها الذي تفرعت عنه ، وبهذه الطريقة انتشرت اللهجات التي انتهت في آخر الامر الى لغات وهكذا تهيأ للغات الامصار التي انفصلت عن اصولها اللغوية بعد ان كانت لهجات محدودة . وخير مثل اقدمه في هذا الباب اللغات الرومانية التي ابتعدت عن اصلها اللاتيني واستقرت في جهات مختلفة وانتهت الى ما انتهت اليه .

ان ما ندعوه لهجات هو في حقيقة الامر لغات قائمة بذاتها ومعنى ذلك ان هذه العامية العربية الدارجة هي لغة اخرى الى جانب الفصيحة فالعارفون بفصيح الكلام قليلون بالنسبة الى الجمهرة الكبيرة من سواد الناس الذين لا يعرفون غير ما جبلوا عليه من عادات لغوية ، وغير ما يستعملون في حياتهم اليومية من اساليب التعبير . وهذه الاساليب هي العامية التي يفكرون بها والتي تخضع لها علاقاتهم الاجتماعية بعضهم ببعض .

واللغة الدارجة هي صاحبة الغلبة في ايامنا هذه ، ذلك ان الناس لا يتعلمونها بالتلقين والدرس وانما هي شيء مكتسب يكتسبه

المتكلمون في بيئتهم منذ ايام الطفولة الاولى ، ثم تزداد خبرتهم كلما تقدموا في السن واخذوا بأسباب العيش . وهي تظل صاحبة الغلبة حتى عند اولئك الذين اخذوا بأسباب الثقافة ، وانت مهما اوتيت من قدرة فائقة على صوغ العبارة العالية ، ومن مهارة في اخراج الالفاظ مخرجا فصيحا قائما على اصول الاعراب والبناء ، لا بد انك صائر الى العامية الدارجة في أي ظرف من الظروف او في أي ساعة من ساعات النهار ، ذلك ان العامية فطرة فيك تلجأ اليها دون ان تحس بهذه العملية الذهنية الانتقالية ، في حين انك تحس بهذا الانتقال اذا اضطررت ان تلجأ الى الفصيحة لتتكلم بها احدا من الناس او ان امرا من الامور قد حزبك الى ان تعرب بهذه الفصيحة . هذه مشكلة من المشكلات الخطيرة ذلك اننا مضطرون ان نتعلم الفصيح وان نجعلها لغتنا الحضارية وفي ذلك ما فيه من اسباب وعلل ، وليس العمل بالسهل ما دمنا لا نستطيع الفكاك من هذا اللون الدارج الذي يسهل علينا ، لانه زاد غير ثقيل قد تخلل من الضوابط والقيود في حين ان العربية الفصيحة معربة ، والاعراب عقبة كؤود ولا اقول زينة تزين بها الكلام حتى يعرف المتكلم والسامع المعنى المراد. ووضع العامية الدارجة هذا الموضع اقرار منا بقيمتها وبالمكان الذي تحتله منا ، ولا سبيل الى انكار ذلك . وليس التقليل من شأنها بمسهل على حل هذه المشكلة اللغوية التي كانت من اسباب تأخر الثقافة العربية في عصرنا هذا .

اريد ان اقول : ان وضع هذه المشكلة في موضعها المناسب لا يعني اننا نتنكر للفصيحة فالامر على العكس من ذلك ، اننا نريد ان تكون العربية الفصيحة لغتنا وذلك يقتضينا ان نيسر من سبل تعلمها فتكون لغة الناس عامتهم وخاصتهم ثم تكون لغة العلم والحضارة الحديثة وقد كانت لغة العلم والحضارة للعرب وغير العرب فكانت عنوان تراث زاهر ومجد مؤثل مشرق الجنبات .

وقد لمح ابن خلدون الشقة البعيدة بين اللغة الفصيحة وبين اللغات التي شاعت في الامصار ، والتي ادى انعزالها الى صيرورتها لغات مختلفة على مر الايام . لقد عقد فصلا على لغة اهل الحضر والامصار اشار فيه الى ان هذه لغة قائمة بنفسها مخالفة للغة مضر وهو يقول : اعلم ان التخاطب في الامصار بين الحضر ليس بلغة مضر القديمة ، ولا بلغة اهل الجيل بل هي لغة اخرى قائمة بنفسها بعيدة عن لغة مضر وعن لغة هذا الجيل العربي الذي لعهدنا ، وهي عن لغة مضر ابعد ، فأما انها لغة قائمة بنفسها ، فهو ظاهر يشهد له ما فيها من التغاير الذي يعده اهل صناعة النحو لحنا، وهي مع ذلك تختلف باختلاف الامصار في اصطلاحاتهم ، فلغة اهل المشرق مباينة بعض الشيء للغة اهل المغرب وكذا اهل الاندلس معهما ، وكل منهم متوصل بلغته الى تأدية مقصودة والابانة عما في نفسه وهذا معنى اللسان واللغة ، وفقدان الاعراب ليس بضائر لهم » ، انتهى كلام ابن خلدون » .

ولكني اريد ان اقف عند عبارته : «وهذا معنى اللسان واللغة» لاشير الى انه قصد بها ما اسلفت فيه القول من ان هذه العامية الدارجة هي لغة قائمة بذاتها ما دام اصحابها ملتزمين بها التزاما تاما ، وما داموا يفكرون بها ويفضون بها عن مقاصدهم . غير ان هذه اللغة لا يتهيأ لها ان تكون لغة حضارة متقدمة ذلك انها تفتقر الى ضروريات كثيرة لتؤدي هذا الغرض الكبير . نعم ان في هذه الالسن الدارجة ادبا وفنا وهو ما ندعوه بـ « الادب الشعبي » الذي يفصح عن عواطف شعبية . وهذا النوع من الادب حاصل في مختلف المجتمعات في عصرنا هذا .

واذا استقرينا المجالات التي تستخدم فيها هذه العامية الدارجة وجدنا المسرح والسينما ، وكلا المجالين في مشكلة صعبة من الناحية اللغوية . ان اهل المسرح والسينما معنيون بايصال فنهم

الى هذه الجموع الكبيرة من الناس ، فكيف يكون ذلك ؟ تلك هي المحنة فليس هؤلاء الفنانون بمالكين لناصية العربية الفصيحة وليس الجمهور الذي يشاهد هذه المشاهد الفنية عارفا بالعربية او حائزا منها على القدر الكافي . فهؤلاء جميعهم مضطرون الى ان يلجأوا الى اللسان الدارج على فقره للخروج من هذه المهمة الصعبة . ولكن هل لهؤلاء من اصحاب الفن ان يدركوا القدر من الاجادة الفنية او ان يلمحوا الى مسألة دقيقة الفهم مما يمتحن به الانسان المعاصر في هذه العامية الدارجة . لا أظن ان شيئا من ذلك ممكن محقق .

لقد ادرك العرب ان حضارتهم لا بد ان تلتقي بالحضارات الاخرى فكان من ذلك ان حفزتهم علوم اليونان والفرس و فلسفاتهم الى ان ينقلوا شيئا منها الى العربية . ولقد فطن الى هذا اولو الامر وكان من اولئك الخليفة المأمون الذي حث اهل العلم والتراجمة ودفعهم الى ان ينقلوا علوم « الاوائل » . ان نظرة عجلى الى « فهرست » ابن النديم ، و « تاريخ الحكماء » للقفطي وغيرهما من المصادر الخاصة لتفصح عن عظم التراث الاجنبي مما يتصل بالموضوعات الحضارية التي عرفها العرب ترجمة وتحريرا ثم مشاركة اصيلة . ان علوم الاوائل ومشاركة العرب فيها تؤلف طائفة ضخمة من المعارف الانسانية . والعلماء العرب والفلاسفة يشغلون مكانا رحبا في الحضارة الانسانية . ولم تستطع الشعوبية النكراء ان تنال من قدر العرب ومشاركتهم الحضارية .

ان التجربة الحضارية في المجتمع العربي في عصوره الاسلامية الزاهرة تشهد شهادة حكيمة ان العربية اداة علمية محكمة البناء دقيقة الصنع صادقة الدلالة .

لقد شملت النهضة العربية المعرفة الانسانية كافة . لقد عرف تاريخ العربية طوائف من علماء الانسانية ممن شاركوا في اقامة الصرح الحضاري العالمي ومن اولئك :

١ ــ الكندي والفارابي في الفلسفة اللذان ما فتىء الدارسون يفردون لهما مكانا خاصا .

٢ ــ جابر بن حيان الذي كان من اكبر اساتذة الكيمياء .

٣ ــ الخوارزمي وثابت بن قرة وبنو شاكر فقد عرف هؤلاء بمشاركتهم في الرياضيات .

٤ ــ وقد حفل التاريخ الحضاري بطائفة من العلماء ممن اشتهروا بالفلك ومن اولئك : ابو معشر البلخي ، وحنين بن اسحاق واحمد بن كثير الفرغاني وسهل بن بشر ومحمد بن جابر الحراني المشهور بالبتاني وعبد الرحمان الصوفي وابو الوفاء البوزجاني وابن يونس المصري .

٥ ــ وقد اشتهر بالطب كل من ابن سينا وحنين بن اسحاق وقسطا ابن لوقا وابو بكر الرازي . ولعل كثيرا من هؤلاء قد اشتهر بكثير من معارف عصره .

٦ ــ ولا ننسى الفيلسوف الكندي والحسن بن الهيثم ومباحثهما في الموضوعات التي تتصل بما نسميه الآن علم الفيزياء . ان مباحث « البصريات » التي انجزها ابن الهيثم لدليل على ان العربية وعاء علمي صالح .

لقد وصل الينا من علم الاغريق وفكرهم مادة عظيمة الاثر جليلة النفع ثم اوشك هذا المعين ان ينتهي دوره فأتيح للعرب والمسلمين ان يستأنفوا المسيرة الحضارية فكانوا علماء الدنيا وكانوا مشاعل الحضارة . ومن غير شك قد اتيح للعربية ان تصبح لغة العالم المتحضر طوال قرون عدة .

وبعد أيحق لدعاة الهزيمة ان يطعنوا ثقافتنا وحضارتنا فيذهبوا الى قصور العربية عن اداء متطلبات التكنولوجيا الحديثة ؟

ان الحديث عن قدرة العربية واستيعابها للعلم الحديث حديث مكرر معاد ، ذلك ان من المسلم به ان في طاقة العربية ما يمكننا على تجاوز هذا المطلب . ثم ان العربية في عصرنا الحاضر لا تفتقر كثيرا الى المادة اللغوية التي تعبر عن الحضارة الحديثة ، الا ان المشكلة الكبرى هي ان هذه المادة اللغوية الجديدة التي تعبر عن متطلبات العلم الحديث واسعة سعة لا تعود على العلم بفوائد ايجابية . ومن اجل ذلك كان على المعنيين بهذه المواد ان يعملوا على ضبط نظام في توحيد المصطلح .

ولعل من خير الوسائل الى ذلك ان يعاد ضبط المصطلحات القديمة التي استعملت في عصور الحضارة العربية ، ومن غير شك ان الواجب يقضي على ان يستعان بمعاهد العلوم اللسانية الحديثة وعلى راس هذه المعاهد المعهد الجزائري للعلوم اللسانية ، ثم يصار الى شيء من التوحيد وبذلك نحفظ للعربية ثروة علمية يستعان بها على فهم الجديد في العلم .

اللغة والحضارة

العربية لغة سامية وهذا يعني انهـا مـن الناحية التاريخية احدى لغات عدة ينتظمها اطـار تاريخي معروف كمـا تسري فيها خصائص متشابهة . غير ان العربية تختلف عن هذه اللغات السامية بالرغم من انتمائها اليها . وهذا الاختلاف متأت مـن اننا لا نعرف اوليات هذه اللغة العريقة على النحو الذي نعرف به اللغات السامية الاخرى . اننا نعرف مثلا شيئا كثرا عن اللغة العبرانية في نصوصها القديمة كما نعرف مثل ذلـك عـن سائر اللغات السامية مـا خلا العربية ، ذلك اننا نجهل من تاريخ لغتنا قدرا كبيرا بحيث ليس في طوقنا ان نرسم تاريخا متكاملا لها .

لقد ورثنا لغـة عامرة بمادتها واساليبها ذلـك ان النصوص الاولى في العربية لا يمكن ان تكون نصوصا بدائية لانها تفصح عن ان هذه اللغة قد بلغت درجة من الكمال كما سنبين .

لقد قيل : ان العربية لغة بدوية ، وهذه المقولة بالرغم مـن صدقها من الناحية التاريخية قد تؤدي الى اخطاء ضخمة. هذا يعني ان ينطلق الباحثون في عصرنا ـ واكثرهم من غير العرب ـ فيذهبون الى ان العربية لغة بدوية وهي بسبب من ذلك لا بد ان تكون بنت الصحراء . واذا كان هذا هو المنطلق فـلا بد ان يصار الى نتائج

فجة لا ترضي الباحث العلمي . انا لا انكر ان يكون في العربية أصول بدوية وذلك لنشوئها في بيئة بدوية كما هـي الحال في سائر اللغات السامية ، ولكني انكر ان يكون مـا ورثنا من نصوص ادبية موغلا في البداوة ومن ثم فان مادته بدوية .

أقول : اننا نخطىء كل الخطأ اذا اعتبرنا عصر مـا قبل الاسلام عصر بداوة وتأخر وفوضى بعيدة عـن أي لـون مـن الوان الرقي الانساني ، ذلك ان النظر الى تراثنا في حقبة ما قبل الاسلام يكشف عن نواح حضارية كما سنرى . ان هذا النظر الخاطىء قد تأتى من لـدن باحثين ارادوا ان يظهروا مـادة الحضارة الاسلامية الزاهرة فوقعوا في هذه المقابلة الخاطئة. لعل قائلا يقول: ان الآية الكريمة قد اشارت الى تلك الحقبة بشيء من النبذ فوصفتها بالجاهلية ، والذي اراه ان هذا الوصف لا يمكن ان يشمل الاشتات الحضارية فـي تلك الحقبة ، ولعله لا يتجاوز المعتقدات والعادات مما يبتعد عن رسالة الاسلام وجوهره وروحه .

قلت : ان العربية احدى لغات عدة هي اللغات السامية ، ولا بد لي من القول ان هذه اللغات ما خلا العربية هي لغات كتب لها ان تحيا في حقبة من احقاب التاريخ ثم عفا عليها الزمان فاندثرت وماتت ولم يبق لها وجود .

قد يقال ان العبرانية لغة حية قائمـة ومعنى هـذا انها لغة حضارية ، والجواب على هذه المسألة يقوم على ان وجود العبرانية في عصرنا وجود غـير طبيعي وهـو منـاف لعلـم اللغـة Linguistique وذلك لان هذه الحقيقة اللغوية ليست طبيعية في عصرنا فالعبرانية الحديثة ليست اللغة الطبيعية لهذه الاشتات المتجمعة في ارض فلسطين . اريد ان اقول : ان العبرانية ليست لغة اليهود حيثما وجدوا ولكنهم يتشبثون بها بسبب من رابطة دينية او تعصب

ديني . ثم ان السريانية لم يبق منها الا لهجات قليلة ضعيفة بعيدة عن الآرامية القديمة .

اخلص من هذا الى ان هذه العربية هي السامية الوحيدة التي ثبتت طوال العصور المتعاقبة . ان في هذا دليلا على انها تحدت الصعاب وتجاوزت مشكلات جمة ، وهي بسبب من هذه الحياة المتصلة استطاعت ان تحتفظ بخصائص السامية الام ، وان تفيد من العصور المتعاقبة عليها فوائد كثيرة لم يكن شيء منها موجودا في أية لغة سامية اخرى .

ولا بد من العودة الى النصوص القديمة في العربية لننظر اليها نظرة الناقد فنقول : ان مادة الادب الجاهلي القديم مادة عامرة بمبانيها ومعانيها . ان العربية الجاهلية لغة استوفت من الكمال الشيء الكثير ، ذلك ان الالفاظ ، اسماء وافعالا ومواد اخرى ، قد تهيأت لها ، فكان النظام الفعلي على أتم من وجه من حيث عدد الابنية وانصراف هذه الابنية الى معان واضحة . وكان نظام الاسماء ووضع الجملة العربية كاملا لا يشكو نقصا . ثم ان هذه اللغة قد بلغت من التطور ما جعلها اداة صالحة طيعة تمد الشاعر والناثر بطرائق مختلفة للوصول الى المعاني .

ومن دلائل هذا النضج انها حفلت بنظام موسيقي محكم البناء فكانت أوزان الشعر عامرة بموسيقاها مستوفية دقائق في الوزن والايقاع لا تتأتى الا بعد ان تكون قد سلخت من عمرها دهرا طويلا . ثم ان هذه العناية في الموسيقى اللفظية لا تقتصر على الشعر بل تجاوزته الى النثر ، ذلك ان الجملة العربية تجري على نسق من الطول والقصر ومراعاة اجزائها ما يجعل منها سلسلة منسقة الحلقات متوازنة في الطول والقصر . ثم تجاوزت هذا الحد الى العناية بأصواتها ، تلك العناية التي تتناول الاصوات المجتمعة في الكلمة الواحدة ثم تصاقب هذه الاصوات بين كلمة واخرى .

لقد حفلت العربية بهذه الخصائص وهي مستوعبة في النصوص الجاهلية ، بحيث لمح الباحثون في علومها مواد مكتملة تنظم الشواهد البليغة للدلالة على الاسلوب الواضح الجميل . ثم كان لهم منها مادة اعانت على الاهتداء الى العروض فلم يوجد في موسيقى الشعر شيء لم يضبط في تلك النصوص . ومن المعلوم ان اللغة ان استوفت هذه الناحية الموسيقية على هذا النحو من الكمال لا بد ان تكون لغة قد ادركت من الكمال والتطور الحضاري قدرا عاليا .

ونستطيع ان ندرك هذا القدر العالي من الكمال اذا ما عقدنا الموازنة بين العربية وسائر اللغات السامية . لم يؤثر في الآداب السامية القديمة في اية لغة من اللغات ما خلا العربية ان تهيأ لها ما تهيأ للعربية من هذه الثروة الموسيقية بحيث اكتملت لها جميع عناصر الوزن والايقاع . ودلالة هذا واضحة بينة من كون العربية لغة كتبت لها الحياة فلم تندثر في اي بقعة من بقاعها ، واستمرار هذه الحياة هيأ لها ان تدرك من الكمال ما لم يتهيأ لغيرها من اخواتها الساميات .

قلت : ان مادة الادب القديم عامرة بمبانيها ومعانيها ، وقد اشرت الى ما يتصل بالمباني لاخلص الى ان هذا الاتقان في المباني قد ادى الى ان يكون لها القدرة على الوصول الى دقائق المعاني .

ان من المعلوم ان اللغة تقصر كل القصور عن ان تكون لغة حضارة عالية ان لم يتهيا لها من موادها ما يعين على الافصاح عن هذه المعاني العالية ، فمن غير شك ان اللغات البدائية لا يتأتى لها ان تكون معربة عن شيء من التراث الانساني الخالد . ولعل بسبب من هذا ان كانت البلاد الافريقية عازفة عن لغاتها المحلية ملتجئة الى اللغات التي جاء بها الحكم الاستعماري . ومن اجل ذلك كانت الانجليزية او الفرنسية لغات المثقفين الافارقة وانهم تقبلوا هذه

الحقيقة العلمية بقبول حسن . ولا بد من الوقوف ازاء حقيقة ان الهند بحضارتها العريقة وجدت ان لا غنى من الانجليزية في هذا العصر ، وربما استمرت هذه الحقيقة قائمة قرنا او قرنين من الزمان .

اعود فأقول : ان العربية الجاهلية استطاعت ان تفصح عن دقائق المعاني ، ذلك انك واجد في غير قصيدة من القصائد الجاهلية فكرا وعلما . ومتى استطاعت اللغة ان تتجسد الفكر وان تفصح عن دقائق المعاني كانت لغة حضارة عريقة . اننا نلمح في معلقة زهير بن ابي سلمى مثلا طائفة من فكر انساني هو ادب لحضارة انسانية بلغت قدرا عاليا من الكمال ، ومثل هذا نجده في كثير من النصوص الجاهلية القديمة . فاذا عرفنا ان الشاعر الجاهلي استطاع ان يدرك شيئا من مفهوم القضاء والقدر ، ومن مفاهيم اسلامية بشرت بها الرسالة الكريمة ، ومن مكارم حفلت بها الرسالة السمحة ادركنا ان هذا الادب القديم هو مادة حضارية ذات اثر ومكان في مسيرة الحضارة الانسانية .

ولعلي اخلص من هذا الى ان هذه النصوص الجاهلية لم تكن المواد الاولى في العربية وذلك لانها قد ادركت من الكمال ما لا يمكن ان نعدها مادة بدائية .

وعلى هذا كان علينا ان نلتمس اولية العربية وان نهتدي الى شيء من معالمها في النقوش القديمة التي كشفت عنها التنقيبات العلمية منذ اكثر من قرن من الزمان .

ان هذه النقوش لا يمكن ان تكون كافية للحصول على وثائق علمية تعين على رسم تاريخ هذه اللغة العريقة ، ذلك ان النظر في لغة هذه النقوش يظهر بعد الشقة بينها وبين ما اثر من النصوص

الجاهلية . ومن هنا كان تاريخ العربية مفتقرا الى حلقات ضائعة تؤلف مع النصوص الجاهلية مادة متسقة متصلة تهيىء رسم تاريخ هذه اللغة العريقة .

لقد اتيح لهذه اللغة العريقة ان تنتقل انتقالة حضارية اخرى لعلها اعظم هزة تعرضت لهـا العربية فتجاوزتها ظافرة عامرة . تلك هي ظهور الدعوة الاسلامية التي واجهها العرب فتقبلها قوم وانكرها آخرون . والكلام علـى هـذا معروف للدارسين ، الا ان جمهرة العرب من الداخلين في الدين الجديد ، ومن الآخرين ممن وقفوا منه موقف المعاند المناوىء قد بهرتهم هذه الدعوة السمحة ، وكيف وصلت اليهم بلسان عربي مبين ، فكان ذلك حافزا لهم ان يتدبروا هذه اللغة الكريمة وان يجتهدوا في فهمها وان يتوصلوا الى معرفة اسرارها . ولقد ادى بهم ذلك الى ان يكون لهم شيء مـن دراسة علمية منظمة قائمة على البحث والتقصي والاستقراء فكانت علوم العربية .

لقد استطاعت هذه اللغة ان تتجاوز دقائق مما جاءت به عبقرية الاسلام وخرجت من هذا الامتحان العسير بشيء يدل على اصالتها وعراقتها . لقد استطاعت العربية في هذه الحقبة الجديدة ان تكون لغة الحضارة العالمية ابتداء من نهاية القرن السادس الميلادي . انها لغة الاسلام بمفاهيمه المختلفة بحيث طمست خلال مدة قصيرة لغات عدة فصارت لغة اقوام عدة اظلهم الاسلام بظله فوجدوا فيهـا الاداة الصالحة للاعراب عن افكارهم . ثم ما عتم ان وجد الداخلون فـي الاسلام ان العربية صارت لغتهم وان ليس لهم غيرها . ولعلهم نسوا او تناسوا لغاتهم ، وكأنها رطانات بدائية لا تعينهم على الاعراب عـن فكرة جديدة وفلسفة جديدة . وكـان مـن ذلك ان تعصب هؤلاء للعربية تعصبا بلغ من نفوسهم مبلغ الجبلة والطبيعة . وكان من ذلك

ايضا جمهرة من الدارسين المتفقهين بالعربية من غير ارومة عربية ولكنهم عرب برغم ما تسعى اليه شعوبية جديدة تتمثل في هذا البلد او ذاك . وما اظنهم يستطيعون ان يقنعوا المثقفين من العرب وغير العرب ان سيبويه مثلا من علماء ايران وان الايرانيين يحتفلون بذكراه على انه ايراني . وانا اسأل اين العلم من هذه النظرة الضيقة؟ واين « ايران » من سيبويه ؟ وهل كانت « ايران » ، ايام كان سيبويه علما من اعلام البصرة ، شيئا على نحو ما يعرفه هؤلاء المتعصبون المزيفون للتاريخ ؟

قلت : لقد استطاعت العربية ان تصبح لغة العلم في العالم القديم ، وان تنتقل من كونها لغة ذات اصول بدوية الى لغة اممية باشرها العرب وغير العرب من مسلمين وغيرهم في معاملاتهم وكتاباتهم .

ولعل من امارات الاصالة في هذه اللغة انها اعطت العالم القديم نماذج من الاختصاصات الدقيقة . ان الخليل بن احمد الفراهيدي استطاع ان يضع الاساس العلمي لما يسمى علم الاصوات ، الذي اقام عليه معجم « العين » . وان ادراك اول طريقة استطاع بها ان يحصر بها مادة العربية في معجم لهو عمل عظيم . ثم انه امد هذا العلم اللغوي بطائفة من المصطلح العلمي Termes Techniques مما يتصل بعلم الاصوات .

أقول : لقد حفلت العربية بمادة ضخمة من المصطلحات التي تتصل بطائفة من العلوم الاسلامية كعلم الكلام والفقه وغيرها والعلوم اللسانية كالنحو والبلاغة والعروض والاصوات وتهيأ من ذلك اسس لمعجم فلسفي وجد ماثلا ابان ازدهار الحضارة العباسية في بغداد .

ولقد أتيح للمجتمع العربي ابان العصر العباسي ان يتصل

بطائفة من الامم الاخرى . ذلك ان بغداد ، مدينة السلام ، وحاضرة الخلافة العباسية ، قد اجتذبتهم اليها ، وهـذا مـا حـرص عليه الخلفاء المتقدمون كالرشيد والمأمون . ولا بد ان يؤدي ذلـك الى ان يشارك هؤلاء في اقامة الصرح الثقافي . ثم ان تطلع العربي الى ما عند هؤلاء الامم مـن معارف مختلفـة عمـل علـى نشر الترجمة ، فترجمت فلسفـة الاغريق ومعارفهم المختلفة . ولعـل مـن حب العربي للمعرفة في هذه الحقبة انه وجد نفسه غير راض او مكتف بما عنده من المعارف التي كانت الاساس الذي قامت عليه الفلسفة الاسلامية . وبسبب من هذا نشطت حركة الترجمة حتى تـم نقل معارف كثيرة . ومن قدرة العربي على الاستيعاب والابداع ان هذا الزاد الغريب من المعارف قد استحال مادة عربية ، فلم يكن خليطا من معارف شتى بحيث يستطيع الدارس ان يفـرق بـين ماهيتها واصولها .

ولقد مرت العربية بمحنة جديدة هي انها واجهت المعـارف الانسانية في العالم القديم فثبتت واستقامت ومرت التجربة بسلام. وتهيأ من ذلـك ان توفر الدارس علـى « المعجـم الفلسفي » . ان الباحث ليعجب كيف استطاع العرب ان يهيئوا لانفسهم هذا القدر الكبير من المعارف ، وكيف تم لهم ان ينجزوا هـذا العمل العظيم بحيث صارت هذه المعارف المكتوبة بالعربية هي المصادر الاولى التي عرف بها الدارسون جانبا من الفلسفة الاغريقية .

قد يسأل الانسان نفسه فيقول كيف تهيأ للعرب ان يكون لهم هذا التراث الحضاري في حقبة لم يكن غيرهم مشاركا في شيء من ذلك ؟ والجواب عن هذا يكمـن في ان العربية ، وهـي مـادة هذه الحضارة ، كانت من اللغات الحية ، وانها تملك من الزاد اللغوي ما اعان الناطقين بها على التصرف في القول .

واستمرت العربية تستجيب للروافد الحضارية التي تنصب في المجتمع دون ان تتخاذل امام هذه التجارب . ومن اجل ذلك بقيت هذه اللغة الكريمة لغة العالم المتحضر طوال قرون عدة . ولـم تنل منها الصدمات العاتية شيئا ، فقد سقطت بغداد سنة ٦٥٦ هجرية وتوزعت الامبراطورية العربية، ولم ينل هذا الحدث الرهيب من قوة الحضارة العربية ، بل على العكس من ذلك ظلت الخزانة العربية مزدهرة بالتصانيف ، وظل العلماء يصنفون في العلوم المختلفة وبقي للعربية مجدها .

وقد حلا لمؤرخي الآداب والثقافة ان يسموا الحقبة التي اعقبت سقوط بغداد بـ « الفترة المظلمة » . واظن ان في هذه التسمية نكرانا لحقيقة علمية وغمطا للحقيقة التاريخية وذلك لان الحقبة التي اعقبت سقوط بغداد ودامت قرونا عدة لـم تكن مجدبة من الناحية الحضارية ، فقد ظلت الذهنية العربية دفاقة باصالتها ماضية في اشعاعها . ربما كان الغرض الذي حدا هؤلاء الـى هـذه التسمية المنكرة انهم ارادوا ان يوجهوا الانظار الى حملة نابليون وكيف انها كانت الاكسير السحري الذي بعث النور وشحذ الهمم الـى نهضة جديدة .

انا لا انكر ان تكون حملة نابليون قد جاءت بشيء لـم يعرفه العرب ، وانها لفتت انظار المصريين الى بواكير الحضارة الغربية ، وانها ادخلت الطباعة الى وادي النيل وانها كيت وكيت ، ولكني انكر ان يكون الشرق العربي قبل الحملة المشار اليها خلاء عماء حتى جاء الفرنسيون فهدوا الناس الى المعرفة .

ان هذه دعوى ضالة تسيء الى العرب اساءة بالغة ذلك انها تبرز ان بداية الاحتلال الغربي للوطـن العربي كـان شيئا مشروعا تقتضيه حالة الركود التي كان فيها مجتمعنا العربي فـي اقطـاره المختلفة .

ثم جاء العصر الحديث والمدنية الغربية ساطعة الانوار قد بهرت ببريقها المجتمعات الشرقية فكان علـى العرب ان يثبتوا وجودهم ويأخذوا من هذه الحضارة بقسط لا يقطـع بينهـم وبين ماضيهم الزاهر . ومن هنا كان على العربية ان تواجه هذه الازمة الكبيرة .

ان الازمة الكبيرة التي تعرضت لها العربية هي ان الحضارة الحديثة مادة ضخمة واجهناها ونحن لا نملك من التدفق الحضاري ما يثبت اقدامنا ازاء تيارها العنيف . لقـد جهـل النـاس لغتهم وتجاهلوها، وقد بات مستقرا في اذهان طائفة كبيرة من المتعلمين، ان المشكلة اللغوية ليست مشكلة . وانني لاظن ان المستعمر قد اوشك ان ينجح في مساعيه للنيل من هذه الامة الكريمة في انه اوحى الى ابنائها ان لا قِبَل بالعربية علـى مواجهة الحضارة الغربية ، وان الخير كـل الخير ان يتناولوا الحضارة في احـدى اللغات الاعجمية الغربية . ومن ثم فالدعوى الى العامية الدارجة قـد وجدت سبيلها حتى قال بها غير واحد من رجال العرب . أليس من المؤسف انك تحـدث المثقف العربي مـن اصحاب الاختصاصات العلمية فتجده يذهب الى ان العلم الحديث لا يؤدى بالعربية وان تعريب العلوم مفسدة لها ، ونكسة نحو هبوط المستوى العلمي .

ان هذه لدعوى ضالة وآية ضلالها انها مضللة لابناء العربية فقد حملتهم على العزوف عن لغتهم واستعمال اللغات الاجنبية. ومن الغريب حقا انك تجد مثقفينا مبتعدين عن درس لغتهم وفهمها فـي حـين انهـم يجتهدون ان يؤدوا الاداء الحسن ان استعملوا اللغـة الاجنبية وهم يتحرجون في ضبط اللغة الاجنبية ومراعاة مادتها وقواعدها .

والمثقفون العرب في هذه المسألة ماضون في اوهامهم لولا نخوة وطنية لآخرين انتبهوا لهذا الخطر فراحوا ينادون بالتعريب . ثم بدا لطائفة اخرى من اصحاب الاختصاص ان المسألة ليست مستحيلة ،

وان العربية ليست لغة متخلفة ، وان لها من تجاربها السابقة ما يحمل ابناءها على المضي في هذه السبيل .

واذا كانت العربية قد اصبحت لغة العالم الحضاري ابان قرون عدة فما بالها اليوم تقعد متخلفة عن الركب ؟ الحقيقة الاكيدة ان المسألة مسألتنا وان العيب فينا وما زالت اللغة معينا ثرا يمد الدارسين والباحثين بفيض من مادة تتصل بالمصطلح الذي تقتضيه حضارتنا الحديثة .

وينبغي الا يتبادر الى الذهن ان المشكلة اللغوية من حيث اتصال اللغة بالحضارة مسألة مصطلحات ، ذلك ان المصطلح مما يمكن ان يتوفر في اللغة وان في ابنية العربية وطواعيتها ما يعين على وضع المصطلح . والمسألة اذن ان يفهم اهل العربية ان لغتهم عنوان لحضارتهم ، وان ليس من وسيلة يتمكن الفكر العربي بها فيساهم في المسيرة الحضارية المعاصرة غير العربية . وعلى هذا كانت العناية باللغة انتصارا للفكر .

ومن المعلوم في علم اللغة الحديث ان اللغة والفكر مادة واحدة وليس من سبق لاحدهما على الآخر . واستطيع ان اخلص الى ان ازمتنا الحاضرة هي ازمة حضارة وان العرب يقتضيهم اللحاق بغيرهم من الامم المتطورة المتقدمة ، وان في طوقهم ان يكون لهم مكان في التاريخ المعاصر غير المكان الذي يشغلون في عصرنا الحاضر . ان هذا لا يتأتى الا اذا قدر لهم ان يشاركوا في بناء الحضارة المعاصرة وتطويرها . ومن هنا كانت المسألة اللغوية مسألة كبرى ينبغي ان تدرس الدراسة الكافية ليتهيأ للعربية الحديثة ان تصبح احدى لغات العالم المتحضر . وليس شيء ينقصها لادراك هذه الغاية الا ان يتفهم ابناؤها المشكلة اللغوية فهما صحيحا قائما على اصولها التاريخية . ولا اظن ان مؤسساتنا العلمية بما فيها مجامع اللغة قد شغلت مكانها المناسب وعملت وانجزت ما هو حقيق بها ان تعمله .

ولعل خير دليل على تقصير هذه المؤسسات انها لـم تفلح الى يومنا فتضع معجما للعربية التاريخية يقوم على الاسس العلمية في تحرير المعجمات ليتهيأ من ذلك مقدار مـا عرض للعربية مـن تطـور عبر العصور . ولم تفلح كذلك في وضع معجم حديث للعربية الحديثة كما هي الحال في كثير من اللغات المتقدمة في عصرنا هذا .

اريد ان انهي هذا العرض فأقول : ان واجبا عظيما يقتضينا ان نقـوم جادين لجعـل لغتنـا العامرة منطلقا محكما للاعراب عن الحضارة المعاصرة .

في الجديد اللغوي *

لا بد لمن يعنى بتاريخ المشكلة اللغوية ان يعرض للعربية الفصيحة الحديثة ليختم سلسلة البحث اللغوي التاريخي . وهذه المرحلة في تاريخ لغتنا الفصيحة ذات خطر . ولعل سبب ذلك هو ان هذه اللغة لا بد لها ان تكون من مواد هذه الحضارة الحديثة ، والحضارة قائمة على الجديد في كل باب من ابواب المعرفة تحولا من كل قديم حضاري تجاوزه الزمان ، على ان هذا التحول لا يعني الانفصال الكلي عن كل قديم . ومصادر هذا الجديد البلاد التي اخذت بأسباب الحضارة قبلنا نحن امة العرب . وقد ورثنا لغة عربية ذات تاريخ طويل حفلت بثروة كبيرة وتهيأ لها من اسباب الرقي مواد كثيرة استعانت بها على مسايرة العصور فكانت الفكر النير والحضارة المشعة ، حتى اذا تحدرت الينا في عصرنا هذا أمست هذه الفصيحة وكأنها ليست لغتنا ، ذلك اننا لا نباشرها مباشرة سليقة وطبيعة وبديهة ، بل اننا ننطلق بأنماط لغوية مما نصطلح عليه باللهجات العامية . غير اننا في هذا الوضع الخطير نحرص على فصيحتنا التي لا تلوكها ألسنتنا بيسر حرصا عظيما لاسباب عدة بعضها تاريخي وبعضها حضاري ؛ فهي الاداة الصالحة لنقل الحضارة الحديثة .

(*) كنت قد نشرت مقالة تتصل بهذا الموضوع في مجلة مجمع اللغة العربية بدمشق (الجزء الاول من المجلد الاربعين) بعنوان : «تحقيق لغوي في الصيغ والاستعمالات».

ومن اجل ذلك كان علينا ان نوفر لهذه اللغة ما يكفل لها ان تكون لغة العصر الحاضر ، فعمدنا الى تعريب المصطلح العلمي في مختلف العلوم والفنون ، كما اعتمدنا على وسائل اخرى منها :

الترجمة (١) : وتهيأ بها لنا تذليل الصعاب الكثيرة التي اعترضت سبيلنا . ومن اجل هذا حفلت لغتنا الحديثة بالشيء الجديد الذي اقتضته الحضارة الحديثة ، ولم يقتصر هذا الجديد على المصطلح العلمي بل تجاوزه الى امور اخرى ، فقد تأثرت العربية الحديثة باللغات الاوروبية الحديثة فاقتبست طرائقها في التعبير . وكان من نتائج ذلك كله ان جاءت العربية الحديثة جديدة من حيث دلالاتها ومجازاتها وان احتفظت من القديم بقسط وافر .

ولا اريد ان احمل على الخطأ الاستعمالات الحديثة والدلالات الجديدة التي ابتعدت عما كانت عليه العربية في عصور سلفت ، ولكني اردّ ذلك الى القول بالتطور الذي درجت عليه اللغات عامة .

وها انا اعرض للجديد في الدلالات في جملة مواد التقطتها من هذه العربية الجديدة وسأجتزىء من ذلك بجملة مواد ، ذلك ان استيفاء الجديد شيء يضيق عنه هذا المختصر .

وسواء عندي في ذلك لغة الصحيفة اليومية ولغة المجلة الادبية ولغة الوثائق الرسمية ، ان جميع ذلك مصادر ينبغي الا تغفل في البحث اللغوي التاريخي . ومن هذه الالفاظ ما نعرض له فنقول :

(١) احتجّ : ترد هذه اللفظة في لغة السياسة في ايامنا فيقال

---

(١) اريد ان اشير الى الفرق بين ما هو معرب وما هو مترجم عملا بما جرى عليه المتقدمون ، فالمعرب هو الدخيل الذي جرى على الابنية العربية ، والمترجم هو اللفظ العربي المتخير لمعنى من المعاني الجديدة الواردة الينا .

مثـلا : « احتجَّت الحكومـة الاردنية علـى الاعتـداءات اليهودية المتكررة » .

والمراد : استنكرت الحكومـة الاردنيـة الاعتداءات اليهودية ورفعت بذلك شكواها الى « مجلس الامن » . ان ورود «الاحتجاج» بهذا المعنى في لغة هذا العصر في الجديد المولد الذي حفلت به العربية، وهو مخالف للاستعمال اللغوي القديم ، فقـد ذكـروا ان « احتجّ بالشيء اتخذه حجة ليس غير » . فالاحتجاجات كمـا يـرد فـي الاستعمالات الصحفية جديد لم يعرف في العربية القديمة .

(٢) شجب : يرد هذا الفعل في العربية الحديثة ولا سيما فيما يكتبه اهل السياسة والصحفيون فيقال مثلا :

« شجبت الصحافة العربية تأييد المانيا الغربية لاسرائيل » . والمراد انها استنكرت التأييد . وهذا معنى جديد لم يرد في العربية قبل عصرنا هذا . وقد استعمل المتقدمون « شجب » بمعنى حزن او هلك . وقد ورد « شجب يشجب » بفتح الجيم في الماضي وضمه فـي المضـارع والمصـدر « شجـوب » و « شَجِب » بالكسر . و « يشجب » بالفتح « شجبا » فهو شاجب وشجِب . وشجبه الله اهلكه . وليس في هذه المعاني ما يقرب مما نحن فيه مـن الاستعمال الحديث (١) .

(٣) فشل : وهذا الفعل مـن الافعال الشائعة في كتابات اهل هذا العصر ، وهو يعني ما يعنيـه الفعل « خـاب » . يقال :

---

(١) قد يكون استعمال « شجب » بمعنى استنكر في عصرنا آتيا مـن العربيـة النصرانية ؛ فقد ورد الفعل بما يشبه هذا الاستعمال في نصوص العهـد القديـم (الترجمة العربية) . ولعل هذا نظير « كرس » التي شاعت في عصرنا بمعنـى « خصص وقصر على » ، وهي من غير شك كلمة نصرانية .

فشل في مسعاه او كانت نتيجته الفشل. والذي نعرفه من استعمال هذا الفعل لا يقرب من هذا . قال تعالى : « ولا تنازعوا فتفشلوا وتذهب ريحكم » والفشل في الآية الكريمة الضعف والتراخي والجبن . وفي كتب اللغة : الفشل « بالكسر » الرجل الضعيف الجبان . وعلى هذا يكون الاستعمال الحديث شيئا جديدا أدى اليه التطور اللغوي .

(٤) خابر : وهذا الفعل يستعمل فيما يستعمل الفعل «اخبر» أي « أنبأ » واكثر ما خص الاستعمال به هذا الفعل هو الاخبار بالهاتف « التلفون » يقال : خابره أي كلّمه وانبأه مستعينا بهذه الآلة . وفي كل هذا ابتعاد عن الاستعمال الفصيح المشهور .

والمخابرة من لغة الدواوين الرسمية في ايامنا هذه في العراق ، فيقال : جرت مخابرة بشأن هذا الموضوع أي جرى سؤال وجواب ومكاتبة بين جهات عدة في هذا الموضوع .

والمخابرة في فصيح العربية شيء غير هذا ولا يقرب منه في شيء ، فهي المزارعة ببعض ما يخرج من الارض . والخبر ان تزرع على النصف او الثلث ، وهي المخابرة وهي الخبرة (بكسر الخاء) ايضا . وعن رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ انه نهى عن المخابرة . والمخابرة المؤكرة ، والخبير الاكار ، قال :

تجز رؤوس الاوس من كل جانب كجز عصا فيل الكروم خبيرها

(٥) عاش : استعمل هذا الفعل استعمالا جديدا في ايامنا على طريقة المجاز ، فيقولون عاش القضية او عاش المحنة بمعنى كابدها واحتملها وخبر من نتائجها وادركها ادراكا حقيقيا . وهذا الاستعمال كما يبدو نقل للاسلوب الاعجمي ، ففي الفرنسية يقال : Il a vecu في الكلام على شيء من هذا . وفي الاسلوب الفرنسي يتعدى الفعل الى مفعوله من دون حرف يوصله الى المفعول ، وقد

انتقل هذا التعبير الى العربية من الاستعمال الاعجمي فشاع هذا الفعل في صيفة المتعدي . وقد تجاوزوا الفعل في هذا الاستعمال الجديد الى مشتقاته الاخرى كما في قولهم : الواقع المعاش (بزنة اسم المفعول من غير الثلاثي) وكان القياس الصرفي ان يقال: «الواقع المعيشي » من الثلاثي لانه لا يوجد « أعاش » .

ونحن وان كنا نؤمن بالتطور وان الاستعمالات تتفير وتتجدد فتجد" اشياء وتزول اخرى، لا بد ان نميز بين الصحيح وغيره. وعلى هذا ليس لنا الا القول بخطأ « اعاش » ما دام « عاش » مستعملا معروفا يغني عن « اعاش » التي ادى اليها الاستعمال في لغة من لا علم لهم بالصيغ الفصيحة وما ورد وما لم يرد . وقد شاع نقل هذه الاساليب الاعجمية في لفتنا العربية الحديثة حتى صارت من العربية المعاصرة .

(٦) مواطن : اسم فاعل من « واطن » أي ساكن وعايش وهو صيغة جديدة مولّدة ، ذلك ان مادة « وطن » لم تنصرف الى هذه الصيغة الفعلية في الاساليب القديمة ، وكأنهم ارادوا بتوليد هذه الصيغة من هذا الفعل الجديد ان يكون في العربية كلمة تقابل في الفرنسية مثلا Compatriote

(٧) معاصر : وهذا من الفعل « عاصر » وهو كنظيره السابق مما ولّده اهل عصرنا هذا لحاجة اقتضتها هذه اللغة الجديدة . وكأنهم ارادوا بـ « المعاصر » ما يقابل Contemporain الفرنسية مثلا .

(٨) رتيب : ويقال : حياة رتيبة ، والمراد حياة دارجة على نمط واحد ، لا تبديل فيها ولا تفيير . وهم يريدون بها ايضا تلك الحياة التي تؤدي الى الملل والسأم . وهذا استعمال جديد لم يكن

معروفا قبل هذا العصر . وقد ورد في اللغة « عيش راتب » أي ثابت دائم .

(٩) صفيق : وهذا على فعيل من صفق بمعنى ضرب . وكأن الصفيق هو المضروب ثم تطور به الاستعمال فصار يعني من لا يستحي . وهذا شيء جديد عُرف في لغة هذا العصر .

(١٠) السطحي : والمراد من هذه الكلمة انها صفة الرجل الذي لا يتعمق في النظر للامور . وهذه ترجمة للكلمة الاعجمية Superficiel ولما شاع هذا الوصف في هذا المعنى المجازي صاغوا منه مصدرا صناعيا هو « السطحية » للدلالة على عدم التفكير العميق في النظر الى الامور .

(١١) البسيط : ويريدون به السهل ضد الصعب فيقال : مسألة بسيطة أي هينة لا صعوبة فيها ، وهم بذلك يوجدون ما يقابل الكلمة الاعجمية «Simple» . وهذا الاستعمال جديد من غير شك لان « البسيط » في فصيح العربية هو « المبسوط » أي الممتد فالارض بسيطة ، والسهل بسيط .

(١٢) الانتهازي : والمراد به من يحسن انتهاز الفرص والظروف محرزا على فوائد تعود عليه بالنفع ، على ان يكون هذا الوصف نبذا لصاحبه . ومن هذه الكلمة صنعوا « الانتهازية » لهذا النوع من الخلق الاجتماعي . وهذا ايضا ترجمة للكلمة الاعجمية opportuniste ، ومن المفيد ان نشير الى ان كتب اللغة تشير الى صيغة « نهزة » بضم النون واسكان الهاء ومعناها الفرصة تجدها من صاحبك . ويقال : فلان نهزة لمختلس أي هو صيد لكل احد .

ولا أرى أي ضير ان يبنى « نهزة » بضم اوله وفتح ثانيه للنهاز للفرص وبهذا نكون قد اتينا بما يقابل الكلمة الاعجمية وهي نظير

همزة ولمزة وبناء « فعلة » يفيد المبالغة والتكثير ، ومنه ايضا « ضحكة » و « لعبة » للكثير الضحك والكثير اللعب . وعلى هذا يكون بناء « فعلة » كنهزة افضل من الانتهازي .

(١٣) الانهزامي : وصف جديد للمتخاذل الذي يتراجع تراجع المنهزم في سلوكه وآرائه عند مقابلة الخصوم . وهو من غير شك مقابل للكلمة الاعجمية «Défaitiste» وقد توسعوا في هذا فبنوا المصدر الصناعي فقالوا « الانهزامية » في المعنى نفسه .

(١٤) الوصولي : وصف جديد لمن يريد ان يصل الى مآربه بكل طريقة ممكنة فلا يهمه ان يسلك الوسائل الدنيئة من اجل مبتغاه . وهو مقابل للكلمة الاعجمية «Arriviste» ، وقد جاء منه ايضا المصدر الصناعي « الوصولية » Arrivisme من هذا المعنى. وهذا نظير الالفاظ السابقة كالانتهازي والانهزامي وغيرها مما جدّ في لغة هذا العصر ولا سيما في لغة الصحافة السياسية التي تعتمد كثيرا على الصحف الغربية فتستعير اساليبها في التعبير .

(١٥) الطليعي : وصف جديد لكثير من الموصوفات . يقال مثلا : الدور الطليعي ، والحزب الطليعي ونحو ذلك . واحسب ذلك مثل قول الفرنسيين Avant-garde وهو من المصطلحات العسكرية ويعني طليعة او قادمة او مقدمة . ولكن الكلمة ذات اللون العسكري الحربي قد تستعار عند الفرنسيين انفسهم الى غير الموضوعات الحربية العسكرية فتدخل في الفاظ الحياة العامة ويوصف بها وأن كانت غير نعت .

(١٦) العميل والعملاء ، والعميل من الفاظ التجارة والاقتصاد في عصرنا ولا سيما في المشرق العربي . و « العملاء » من يتعامل معهم التاجر أي الذين يشترون منه ويبيعون اليه ، وهي تعني على

هذا الوصف « الحرفاء » جمع « حريف » كما في معجمات العربية وكما هو مستعمل الان في اقطار المغرب العربي . وهي تعني ايضا « الزبائن » جمع « زبون » . والمهم الآن في « العميل » و « العملاء » انها استعيرت الى الفاظ السياسة فصارت نبذا وسبا ووصفا للعاملين في صفوف الاعداء المستعمرين ضد ابناء بلدهم . وعلى هذا تجري الكلمة مجرى « جواسيس » .

(١٧) المؤامرة : وهي من الكلمات التي حظيت بالشيوع في عصرنا يقال : حدثت مؤامرة في البلد للاطاحة بنظام الحكم . وعلى هذا يكون المعنى المراد الدسيسة والفتنة والتدبير المحكم للتوصل الى هذا الغرض . وهذا معنى جديد لم يرد قبل هذا العصر في كتابات المتقدمين، ذلك ان المؤامرة هي المشاورة، وفي الحديث آمروا النساء في انفسهن اي شاوروهن في تزويجهن . ومن هذا يتبين ان المؤامرة والائتمار المشاورة ، وكذلك « التآمر » على وزن التفاعل .

ومن المفيد ان نشير الى ان التآمر في لغة هذا العصر تعني التدبير والتفكير الذي يؤدي الى مؤامرة وهي الدسيسة او الفتنة كما بينا .

ويبدو ان كلمة « مؤتمر » ما زالت محتفظة بالمعنى الاول القديم للائتمار وهو التشاور .

(١٨) التأميم : مصطلح جديد من مصطلحات الاقتصاديين في عصرنا . وهم يريدون به ما يقابل الكلمة الاعجمية Nationalisation . والمصطلحات العلمية الحديثة لم تعرف في العربية الا نتيجة للبحث والتنقيب عما يقابل نظائرها الاعجمية كالاشتراكية والشيوعية والاستعمار ونحو ذلك . وقد اقتضاهم الامر الى ان يعربوا المصطلح الاعجمي لشيوعه ومعرفة اهل الاختصاص به ، وبذلك لم يسلكوا طريق الترجمة ، فقد قالوا : « الامبريالية » وهي Impérialisme

ومثل ذلك « الدمقراطية » ، و « الارستقراطية » و « البورجوازية » و « الليبرالية » وكثير غير هذا .

(١٩) التخطيط او التصميم : وهما من مصطلحات الاقتصاديين فيعصرنا ليكونا مقابلين للكلمة الاعجمية Planification ودلالة المصطلح الاعجمي معروفة . ومن المفيد ان نشير الى انه ما زالت مسألة المصطلحات العلمية الحديثة متأثرة بالاقليمية ، فقد نستعمل « التخطيط » في اقليم من الاقاليم العربية في حين ان الاقليم الآخر يستعمل « التصميم » لاداء المعنى نفسه . ومثل هذا كثير فقد تطلع علينا صحيفة بعنوان كبير عن وقوع « مظاهرة » كبيرة في بلد ما في حين ان صحيفة اخرى تعبر عن المسألة عينها بوقوع « تظاهرة » او « تظاهر » .

وفي الوقت الذي استطاعت فيه العربية ان تؤدي الكثير مما جاء به العلم الحديث ، فما زلنا نستعمل في صحفنا اليومية «المانشتات» manchette و «الماركات» Marque و «الكليشيهات» Cliché و « المناورات » manœuvre مع العلم ان هذه الكلمات ليست مما لا يمكن ايجاد ما يقابلها من ابنية العربية .

(٢٠) المعطيات : مادة جديدة شاعت في كتابات المعاصرين في السنوات الاخيرة ، وهي تقابل Donnée الفرنسية او قل ترجمة لها . والكلمة الفرنسية وان كانت بـ « العطاء » من حيث الاصل (الجذر) بعيدة عن مدلول العطاء . تعني هذه الكلمة الفرنسية المعلومات او الافكار الثابتة التي تنجم عن قضية من القضايا . والقارىء العربي الذي لا يعرف الفرنسية او اية لغة غربية اخرى لا يدرك معنى « المعطيات » ادراكا واضحا ، وذلك لان مادة « اعطى » في العربية لا يعرض لها التوسع والمجاز على هذا النحو ، وقد نجم عن ذلك اننا ابتكرنا مادة جديدة ومعنى جديدا لم يُعرفا في العربية .

ثم ان « المعطيات » ليست من المواد التي لا تفتقر اليها العربية اذا كانت بهذا المعنى المشار اليه ؛ فهي لا تدخل في حيز المصطلحات العلمية التي لا بد منها . ومن الممكن استعارة كلمة اخرى غير « المعطيات » لما يقابل الكلمة الفرنسية Donnée مما يدركه عامة القراء .

ومن المفيد ان نذكر بعبارة معجم لاروس الصغير في شرح هذه الكلمة :

Point incontestable ou admis comme tel, Idée fondamentale dans un ouvrage d'esprit.

(٢١) التقني والتقنية : وهما تعريب للكلمة الافرنسية technique اسما ونعتا ، فكأن «التقني» تقابل الاسم و «التقنية» صفة لموصوف متخصص بها . وقد ترجموا Terme Technique بـ « المصطلح العلمي او الفني » . والذي يلاحظ على المعرب الجديد « التقني » عدم الوضوح وذلك ان هذه المادة تشبه مادة « قني » العربية من حيث بناء اصواتها ، او تشبه مادة « تقن » ، وعلى هذا كان اكثر ملاءمة ان يعدل عن القاف في « التقني » و « التقنية » الى الكاف كما في الاصل الاعجمي .

وبعد فهذه جملة مواد عرضت لها في هذا الموجز اتخذت امثلة اوضح بها التطور والتوليد في عربيتنا الحديثة التي هي مادة حضارتنا الحديثة .

وفي هذا العصر الذي يتحتم فيه الايمان بالعلم ، والتزود بسلاحه تبدو المشكلة اللغوية خطيرة في البلاد الناشئة التي تريد أن تقيم ثقافة متينة قائمة على الاقتباس ، كما لا تتنكب عن الاصالة ما استطاعت الى تحقيق ذلك ، مفيدة من تراثها القديم ، مزيحة عنه ما علق به من اباطيل واوهام . وهي لا بد من التعريب الذي

تقتضيه حاجات كثيرة ليتيسر لها المصطلح العلمي .

وربما كان من اهم الامور ان تعني المؤسسات العلمية من جامعات ومجامع لغوية ومعاهد اخرى بهذه المشكلة المهمة وتعقد الندوات فيما بينها ليحصل الاتفاق على وجه صحيح من هذه المصطلحات التي ينقلها الينا العلم الجديد لنجد لها من لغتنا مادة مفيدة . وقد وقع شيء من الفوضى وعدم الانسجام في هذه المسألة فصار كل مختص يتخذ له مصطلحات يعمل على ان تشيع بين الناس وهي بذلك اما ان يكتب لها البقاء واما ان تفنى ، والبقاء والفناء راجع للمصطلحات نفسها . لقد حفل التراث الاسلامي بمادة فلسفية لها مكانتها ولها اصالتها كما ان لها من العربية لغتها العلمية والاصطلاحية ، بيد ان الفلسفة الحديثة اقتضت مادة لغوية جديدة، واللغات الاوروبية الحديثة تجد في اليونانية واللاتينية هذه المادة الاصطلاحية ولا ضير على الاوروبي ايا كانت لغته ان يأخذ بهذه المصطلحات التي تغرس اصولها في التاريخ البعيد . على ان هذا الجديد الوافد قد ترك ابناء العربية في حيرة من امرهم وفي فوضى فكرية ، فأنت تجد احد اللبنانيين في عصرنا قد ترجم المصطلح الاعجمي Personnalisme بـ « الشخصية » في حين ان آخر قد ترجم هذا المصطلح الفلسفي بـ « الشخصانية » ، وربما بدا لآخر ان يترجمها بـ « الفردية » . وهذا مثل من الفوضى الفكرية ، وفي هذه « الشخصانية » او « الشخصية » استطاع السيد كمال يوسف الحاج من الكتاب اللبنانيين المتفلسفين ان يشتق ويتوسع في الاشتقاق فيبني « تشخصن » لضرورة من ضرورات هذه الفلسفة. وقد اغرق هذا الكاتب في هذا الاشتقاق والبناء فجاء فيما كتبه قوله « تجمعن » آخذا ذلك من المبدأ الاجتماعي او الفلسفة الاجتماعية .

وقد أدى من هذه المادة بشيء عجب ، فقد صاغ «المتبرجعين» على طريقة النحت والتوليد لمن ينسبهم « للبرج العاجي » وهم اولئك

الذين لا يفكرون في حدود الواقعية المعروفة .

وقد ترجموا الكلمة الاعجمية Phénoménologie بالمظهرية والكلمة من اصل اغريقي Phainomenon وتعني الظاهرة في اصطلاحنا العربي الحديث ، كما ترجمت بالظاهرية . ولعل كون هذا الاسم ، اوقل هذا المصطلح ، مقابلا للباطنية ، والباطنية من مذاهب التفكير الاسلامي القديم ، هو الذي جعل احدهم يتجنبه ويترجم المصطلح الاعجمي نفسه بالظاهراتية ، وامثال هذه الفوضى في المصطلح العلمي كثيرة . ومن اجل ذلك تصبح الدعوة الى توحيد المصطلحات امرا تقتضيه الضرورة القائمة . ويتقدم العلم الحديث خطوات واسعة الى الامام وانت واجد كل يوم جديدا في هذا الميدان، وان لا سبيل الى معرفة الجديد معرفة جيدة ، ومن هنا كانت الترجمة ضرورة ملحة ، وان تشرف على هذه الحركة الضخمة الحكومات والمؤسسات العلمية والا يترك الامر للجهود الفردية التي لا تجدي فتيلا في هذا الميدان الواسع . وربما اساءت هذه الجهود من حيث اريد النفع .

وللتوفر على المصطلح الفني لا بد من سلوك الطرائق الصحيحة، وسلوك هذه يقتضي النظر في العربية وقدرتها على اداء المعاني ، والوسائل التي تملكها للوصول الى هذه الاغراض الاصطلاحية .

وما أظن ان المجامع العلمية استفادت من الاشتقاق، في صوره المختلفة ، الاستفادة اللازمة ، ومن ذلك لم يستفيدوا من « المصدر الصناعي » في تكوين هذه المادة الاصطلاحية . والمصدر الصناعي يؤخذ من الاسم والمصدر بعد ان يزيد بالياء المشددة على نحو ياء النسب مع تاء في الآخر نحو : « الكمية » و « النوعية » . وقد أفاد القدماء من هذه المادة اللغوية فاستعملوها في « القدرية » و « الجبرية » و « الصوفية » و « الظاهرية » و « الباطنية » .

وربما توسعوا في هذا الباب فبنوا هذه المصطلحات ابتداء من مواد لم تكن مصادر ولا شبيهة بها ، فاستعملوا « الكمية » من الكم ، و « الكيفية » من كيف ، و « الحيثية » من حيث ، و « الهوية » من هو . ولقد استفاد من ذلك المحدثون في صنع طائفة من المصطلحات الحديثة كما في « النسبية » للنظرية العلمية المعروفة ، ومثل هذا « النظرية » و « الفرضية » وغيرهما .

ولم يستفد المجمعيون من الوسائل التي افادت العربية منها كالنحت والتركيب فقد ركّب الاقدمون من الجملة الاستفهامية كلمة استخدمت في الميدان الاصطلاحي كما في قولهم « الماهية » لحقيقة الشيء وجوهره دون عَرَضِه وهي من قولهم « ما هي ؟ » على سبيل الاستفهام كما كوّنوا من ذلك كلمة (رأس مال) التي استحالت في الرسم « رأسمال » لمصطلح اقتصادي معروف حين اقتضت الضرورة العلمية وحين شاعت الكلمة لحاجة العلم اليها . أقول : ان هذه الكلمة من الفاظ القرآن الكريم ؛ فقد جاء في سورة البقرة قوله تعالى :

« وان تبتم فلكم رؤوس اموالكم لا تَظلمون ولا تُظلمون »

وشيوع المصطلح في العصر الحديث سوّغ للكتّاب ان يجمعوا الكلمة على « رساميل » وقد توسع التجار في هذه المادة فاشتقوا فعلا من ذلك فقالوا « رسمل » وان كان هذا الفعل في الاستعمال العامي الدارج . والنظر في مفردات العربية يدل على ان النحت قد دخل في بناء الفاظ كثيرة ربما خفي بعضها على كثير من الدارسين .

ولا بد من الافادة من كل صفة في صفات العربية لنتخذ من ذلك طرائق في تهيئة الجديد اللغوي الذي تفتقر اليه لغتنا أيما افتقار .

الجديد في اللغة والمعجم العربي الحديث

شارك العرب الاقدمون في العلم اللغوي كما شارك غيرهم من الامم القديمة كاليونان والهنود والصينيين . ولعله من غير المجدي في عصرنا الحاضر ان نبحث في اصل اللغة ، والذي يعنينا من اللغة انها مظهر ونشاط للطبيعة البشرية الانسانية . وينبني على ذلك انها مظهر من مظاهر علم الاجتماع الذي يعنى بالنشاط الانساني في مختلف احواله .

واتصف « علم اللغة » في العصر الحاضر بالصفة العلمية الخالصة ذلك انه لم يعد مادة يستعان على ادراكها بالتأمل . بل هو مادة موضوعية يتبع في معالجتها المنهج الوصفي ، ومن هنا يدخل « التطور اللغوي » في هذا النهج .

ان علم اللغة بهذه الحدود الجديدة من العلوم الغربية الحديثة التي بحثها الغربيون وتشعبوا فيها ، وقد كان ذلك اثر الاهتمام البالغ بما دعاه «كرم» Grimm بالقوانين الصوتية فقد كان سائدا انها قوانين عامة شاملة تنطبق على جميع اللغات ، وهي كالقوانين الطبيعية الاخرى .

وقد عرضوا لاسباب هذا التطور في الاصوات فردوا ذلـك الى الاختلاف الذي يحصل في اعضاء النطق ، وقد عرضوا فـي ذلك لجملة من الملاحظات والتجارب لاثبات ما يعتور الاصوات مـن تغيير اذا مـا حدث أي تشويه في اعضاء النطق .

ومنهم من رد هذا التطور اللغوي الى ما يطرأ على المجتمعات من اختلاف الظروف الجغرافية والمناخية . وهم يبنون هذا على جملة وقائع عرضت لشعوب مختلفة في تطورها التاريخي . على انهم يذهبون مذاهب عدة في تفسير هذا التطور الصوتي ، غير ان هذه التفاسير المختلفة لا تسلم من الطعن فيها فهي وان كانت وجيهة فانها تفتقر دائما الى الاصالة والشمول . بحيث لايمكن الاخذ بهاعلى انها نظريات ثابتة .

وقد حلا لبعضهم ان يفسر التطور الصوتي بقوانين «مندل» في الوراثة، والردعلى هذا من الامور الهينة، وقد استعاروا طريقة «تشارلز دارون» العالم الانكليزي في التطور ، وهو ما يدعى بالمذهب الطبيعي. قال «دارون» في كتابه « اصل الانواع « The Origin of Species» بمسألة تنـازع البقـاء وظهور صفـات خاصة فـي بعض الافراد وانتقال هذه الصفات الخاصة بالوراثة الى النسل وشيوع هـذه الصفات وكثرتها بحيث يمكن اعتبار من يرثها مـن النسل نوعـا مختلفا عمن لم يرثها . وقد طبق العالم الجيولوجي « ليل » هـذه النظريات على اللغة فقرر : « ان الانواع في الطبيعة ، واللغات فـي التاريخ تتغير تبعا لنواميس متشابهة ... والعاملان الجوهريان في اللغات هما كما في الانواع الطبيعية التغير والانتخاب الطبيعي . وكما يحصل في الانواع يحصل كذلك في اللغات ايضا نتائج عظيمة لتجمع اسباب عديدة صغيرة لا قيمة لهـا فـي حد ذاتها كادخال عبارات اجنبية . وكثرة الخطباء والكتبة والاختراعات والاكتشافات وتعلم

علوم جديدة وتنازع الالفاظ الى غير ذلك مما يغير اللغة » (١) .

ثم جاء بعد « ليل » العالم اللغوي «شليخر» فنشر كتابه بعنوان « داروين وعلم اللغات » وقد قرر فيه « ان مبادىء داروين تنطبق جميعها على كيفية نمو اللغات فان جميع لغات اوروبا يكاد يكون لها أصل واحد هو اللغة الهندية الجرمانية ، ومنها تفرعت عدة فروع اولا ثم تفرع من هذه الفروع فروع اخرى .

على ان تفسير التطور اللغوي بهذه المحاولات لم يكن الا مجرد آراء أخذ بها اللغويون في مطلع هذا القرن ، وهي من غير شك محاولات لا تسلم من النقد الذي وجه اليها .

غير انه من الثابت ان التطور اللغوي يحدث في مادة اللغة التي تؤلف بنيتها وكيانها واعني بذلك الالفاظ التي تبنى منها اللغة . هذه الالفاظ يخضعها الاستعمال فتجد فيها خصوصيات معنوية ذات ظلال دلالية sémantique جديدة يستدعيها الزمان والمكان وليست العربية بدعا بين اللغات ذلك ان اللغات كافة تخضع لسنة التطور ، وان الكلمة في كثير من اللغات مادة حية يعمل فيها الزمان ويؤثر فيها وتجد فيها الحياة فتتطور وتتبدل وربما اكتسبت خصوصيات معنوية ابعدها الاستعمال عن اصلها بعدا قليلا او كثيرا . وليست العربية بنجوة من هذا الذي يطرأ على غيرها من اللغات .

وعلى هذا يتحتم على الباحثين والدارسين ان يأخذوا انفسهم بالمنهج الوصفي ، فان كثيرا من الالفاظ انتقلت انتقالات عدة بحيث ان « المصطلح الفني » يؤلف مثلا مرحلة معنوية من الدلالة التي انتهت اليها لفظة من الالفاظ او تركيب من التراكيب .

---

(١) من المقالة الثانية من كتاب « فلسفة النشوء والارتقاء » لشبلي شميل (مطبعة المقتطف مصر ١٩١٠) ص ١٢٠ — ١٢١ .

فلا بد ان يعنى المعجم الحديث بهـذه الناحية ويثبت هذه الالفاظ التي جدت في العربية واقتضتها ظروف المجتمعات الجديدة.

ومن العجب ان المعجم العربي الحديث لـم يول هذه الناحية ما تستحقه من عناية كافية ، وربما تنكر اصحاب المعجمات الحديثة الى هذا النوع من المولّد الجديد . وليس عجيبا ان يكون نفـر مـن هؤلاء مـا زال يعتبر الجديد المولّد غير فصيح وان اقتضاه عصرنا وجرى عليه الاستعمال ، وشاع وقيد في النصوص والوثائق . وهذا النظر وان تمسك بـه جماعة من اللغويين في عصرنا فان المعربين كافة اخذوا انفسهم باستعمال الجديد ، وقد بحث الاوروبيون في هذه الناحية والفوا فيها مصنفات عدة ما زالت تدرس حتى يومنا هذا (١) .

واذا عدنا الى عربيتنا الحديثة وجدناهاتزخر بمئاتمن الالفاظ الجديدة المولّدة والمعربة وقد اخذت طريقها الى الاستعمال وصارت مخصصة مقيدة بنوع خاص من المعنى . غير ان اللغويين مـع ذلك ما زالوا مترددين في عد هذا الجديد من الفصيح .

أقول : من الواجب علينا ان نفسح لهذا الجديد، الذي قذف به المستعملون، مكانا في كتبنا اللغوية، لانه صار من مادة هذه اللغة، وسأعرض لجملة من هذه الالفاظ ولم أرد من ذكرها الا ان تكون امثلة على النهج الذي اشرت اليه من ذي قبل. وهذه اشتات جمعتها من هنا وهناك ولم اتبع في جمعي هذا منهجا خاصا فمنها مـا شاع في لغة الصحافة اليومية ، ومنها ما هو جار على السنة المذيعين ،

---

(١) من هؤلاء A Darmestetev في كتابه « حياة الكلمات » « La Vie des mots » ومنهم Whiteney في كتابه « حياة اللغة » « La Vie du Langage » ومنهم Richard و Ogden في كتابهما « The Meaning of Meaning »

ومنها ما هو مستعمل في لغة الكتابة الخاصة. واعني بالخاصة لغة الكتابة غير الادبية كالالفاظ الاقتصادية والسياسية ونحو ذلك .

لعل احـدا يقـول : ان هـذه الالفاظ ينبغـي ان تصنف في مجموعات حسب الاختصاص الذي تنسب اليه كأن يكون لالفاظ السياسة مجموعة خاصة ينتظمها سفر خاص ، وهكذا في سائر الاختصاصات . وهذا صحيح غير ان العربية ما زالت مفتقرة اليه .

على ان هذا لا يعني اغفال هذه الالفاظ الجديدة فـي المعجم اللغوي ، ذلك انها معان جديدة ينبغي ان يشار اليها بايجاز في معجم لغوي حديث (١) .

ودونك شيئا من هذه المولدات والمعربات :

(١) الامبريالية لفظة اعجمية الاصل عربت على هيئة المصدر الصناعي ، والمصدر الصناعي مادة مهمة في العربية أفيد منها كثيرا في التوصل الى كثير من المصطلحات العلمية .

والكلمة تعريب Imperialisme وهي تعنـي فيمـا تعنيه الاتجـاه السياسـي المتصف بالسيطرة والتوسـع . وعلـى هـذا فالامبريالية درجة عليـا مـن درجات الاستعمار . والوصف منها « امبريالي » هذا مقابل لـ Imperial . والاصل الاعجمي القديم الذي بنيت منه الكلمة الغربية هـو الكلمة اللاتينية التي ترجع الى العصور المتأخرة Imperialis وهـو مـن « Imperium » ، وهذه الاخيرة تعني emplre وهي التي عربوها بـ « الامبراطورية » او « الانبراطورية » .

---

(١) اغفل المعجم الوسيط الكثير مـن هذه الالفاظ الجديدة كما اغفل غيرها . انظر مجلة المجمع العـلمي العربي المجلدات الثامن والثلاثين والتاسع والثلاثين والاربعين (نظرات في المعجم الوسيط لعدنان الخطيب) .

والامبريالية كلمة يستعملها صنف كبير من الكتاب السياسيين والاقتصاديين وتظهر في كتاباتهم للتعبير عن مصطلح اعجمي لا بد من توفيره في العربية . وهي كسابقتها « الامبراطورية » من الشيوع والاستعمال .

وبعد فليس من الحق الا يذكر المعجمي شيئا يسيرا عن هذه المعربات .

ومن الناحية التاريخية ان الوصف بـ « الامبريالي » Imperialiste كان قد عرف في سنة ١٥٤٦ بمعنى المتعصب والمنحاز للامبراطورية الالمانية . وفي القرن التاسع عشر كان الوصف يعني من يتعصب للاسرة النابوليونية . ثم صار يعني من يتعصب ويميل للامبراطورية البريطانية التوسعية .

(٢) الانتاجية : مصطلح جديد قذف به كتاب الاقتصاد ويريدون به « قابلية الانتاج » Productivité . وقد بني هذا المصطلح على المصدر الصناعي . وعندي ان المصطلح من كلمة واحدة خير منه ان كان مركبا من كلمتين او اكثر .

(٣) الانتهازية : كلمة تشيع في كتابات المعاصرين للتعبير عن نمط في الاخلاق غير مستحب ، فالانتهازي عندهم هو النهاز للفرص بغية الحصول على منفعة . وعلى هذا فالانتهازي من لا يؤتمن ، والكلمة مما ينبز بها في عصرنا . والانتهازية الخلق الذي يتصف به الانتهازي والكلمة من غير شك ترجمة لـ Opportunisme . وهي معروفة عند الكتاب السياسيين مستعملة في كتاباتهم . والانتهازي من الساسة من يحسن الافادة من الظروف خدمة لمصلحته .

فاذا كانت الكلمة بهذه الحدود الواضحة وبهذه الكثرة من

الاستعمال فمن الغريب ان لا تحضر في معجم لغوي حديث للعربية .

(٤) الانهزامية : كلمة اخرى تشيع في كتابات المعاصرين ممن يتناولون المسائل السياسية . وهي نموذج من الخلق خاص ، فالانهزامي هو الذي لا يتحمل مواجهة الامور الصعبة والظروف الدقيقة وانما يفضل الابتعاد عن هذه المواطن . والكلمة ترجمة للكلمة الاعجمية « Défaitisme » .

واظن من المناسب ان يشار الى مثل هذه المولدات الجديدة في معجم جديد للعربية .

٥ – البرجوازية . مصطلح جديد بني على المصدر الصناعي للتعبير عن طبقة اجتماعية خاصة ، وهي الطبقة الوسطى كما يذهب اصحاب علم الاجتماع . على ان الكلمة قد تكون وصفا فيقال : المفاهيم البرجوازية أي مفاهيم هذه الطبقة وانماط تفكيرها .

والكلمة تعريب للكلمة الفرنسية Bourgeosie .

والاصل فيها كلمة Bourg. وتعني المدينة فكأن « البورجوازي » في الاصل ساكن المدينة Bourgeois ثم تطورت في الاستعمال عبر العصور فصار البورجوازي يعني المتمتع بحقوق خاصة يمليها عليه سكنى المدن ، ثم صارت تعني الرجل المرفه المترف ، ثم هي عند العمال تعني رب العمل او السيد المطاع . وربما أفادت الكلمة من هنا المعنى السلبي الذي اتصفت به في بعض الاحيان ، ذلك ان البورجوازي عند هؤلاء العمال في بداية عصر التحول الصناعي ، انسان غير محبوب ، واذا كان غير محبوب فالكلمة تشير الى النبز من هذه الناحية .

وهي في كتابات علماء الاجتماع والسياسيين صارت تعني طبقة من الناس لها افكارها ولها اخلاقها ، ثم اندست معربة في العربية بهذه الخصوصية المعنوية . وعلى هذا فمن المفيد ان يشار اليها في معجمنا الحديث .

(٦) التقدمية ، مصطلح جديد يفيد طريقة في التفكير واسلوب في العمل وفلسفة تجنح الى التقدم والعزوف عن الجمود وهي كلمة جديدة شاعت في كتابات السياسيين وعلماء الاجتماع .

في مطلع هذا القرن ولا سيما في كتابات الاشتراكيين وانصار مذاهب « اليسار » . و « التقدمي » هو القائل بالتقدمية والسالك في نهجها والآخذ بفلسفتها .

وهي من غير شك ترجمة لـ Progressisme والتقدمي هو Progressiste .

ومن المفيد ان نشير ان الكلمة حين استعملت في العربية اوشكت ان تكون مرادفة للاشتراكية حينا او للشيوعية حينا آخر في نظر طائفة من الناس . ثم توسع في استخدامها حتى استقرت في مكانها الصحيح .

ومن المفيد ان يشار الى هذه في معجمنا اللغوي ولو كان ذلك بايجاز لا يخل بالفائدة المطلوبة .

(٧) الثورية مصطلح جديد يفيد النزعة الى الثورة والاندفاع اليها . و « الثوري » هو المتصف بهذه النزعة وهذا الاندفاع . والكلمة ترجمة لـ Révolutionnaire .

(٨) الجمهورية . نظام معروف في الحكم . ولا نرى حاجة

للقول ان الكلمة لا بد ان يشار اليها في معجم لغوي للعربية لشيوعها واستعمالها .

(٩) الديمقراطية ولا ارى حاجة للاسهاب في شرح هذا المصطلح الذي صار من الشيوع بحيث صار مفهوما لدى المختص وغيره . وقد عرّب الكتاب العرب هذه الكلمة واجروها على المصدر الصناعي للتعبير عن المعاني التي تنطوي عليها كما اخذتها امم كثيرة للتعبير عن المعاني نفسها فلا بد ان نشير اليها في معاجمنا اشارة كافية .

(١٠) الديماغوجية وهذه كلمة جديدة اخذت سبيلها في كتابات المعاصرين من اصحاب علم الاجتماع والسياسة . وهي معربة على هذا النحو والاصل هو « Démagogie » وهذه تعني في السياسة الطريقة التي يتملق بها الجمهور والعامة .

والكلمة من مادة اغريقية هي « Démagogia » . والمتمذهب بهذا المذهب هو « Démgogue » اي الديماغوجي . ومن المفيد أن اشير الى ان هذه الكلمة قد استعملها الكتبة اللبنانيون المعاصرون على هذا النحو من التعريب .

غير انه لا بد من الاشارة الى ان آخرين قد استعملوا هذه الكلمة بعد ترجمتها بـ « الغوغائية » نسبة الى « الغوغاء » . للتعبير عن المعنى نفسه .

ولا بد ان يشار في معجمنا العربي الحديث الى هذه الكلمات عملا بالنهج العلمي الذي يؤرخ الالفاظ في علم المعجمية الحديثة « Lexicographie » .

(١١) الرأسمالية مصطلح جديد من مصطلحات علم الاقتصاد الحديث . والكلمة مركبة منحوتة ، فان « رأسمال » بالهمز او « رأسمال » بالتسهيل كلمة جديدة، وكأن تركيبها قد اغفل فصارت تجمع جمع تكسير على « رساميل » . على ان تركيبها ما زال معروفا في جمعها على « رؤوس اموال » . والعامية قد صنعت فعلا من هذه الكلمة هو « رسمل » واستعمالها يفيد ان البضاعة المبيعة احرزت « رأسمالها » فلم تخسر ولم تربح .

(١٢) الرائد وهي كلمة معجمية قديمة . والرائد الذي يرسل في التماس النجعة وطلب الكلأ ، وفي حديث امير المؤمنين علي بن ابي طالب (ع) في صفة اصحابه : يدخلون روادا ويخرجون ادلة أي يدخلون طالبين للعلم ملتمسين للحلم ويخرجون هداة للناس . وأصل الرائد الذي يتقدم القوم يبصر لهم الكلأ وساقط الغيث .

هذا هو استعمالها المأثور عن العرب الاقدمين ، اما الاستعمال الحديث لهذه الكلمة ففيه شيء من الجدة ينبغي ان يشار اليه ولا يكتفى بتخطئته فيقال : « الزعيم الرائد » في الكلام على الرئيس جمال عبد الناصر مثلا ، او يقال : الصحيفة الرائدة . وهذا نوع من الاستعمال جديد يوصل اليه بشيء من اللطف في فهم التشبيه والمجاز .

(١٣) الرجعية مصدر جديد مبني على طريقة المصدر الصناعي للتعبير عن معنى جديد هو الميل للافكار القديمة وعدم الاقبال على الجديد من الفكر والعمل . ووصف نفر من الناس بالرجعية نبز لهم ولا يصفهم بذلك الا اهل انصار الجديد واصحاب التقدمية .

والكلمة ترجمة للكلمة الاعجمية « Réaction » . وصاحب هذه الصفات « رجعي » « Réactionnaire » . وقد تلصق هذه النعوت بشيء كثير من التساهل والتجوز .

وعلى هذا فهذه معان جديدة استفيدت من هذه الكلمة المترجمة لا ينبغي ان تغفل في عربيتنا الحديثة، ذلك انها تؤلف هي وغيرها مادة مهمة في لغة الصحافة والوثائق وغير ذلك .

(١٤) العملاء وهي من كلمات النبز والشتم الجديدة . والكلمة جمع مفردها « عميل » والمراد منه انه العامل لجهة اجنبية ضد مصلحة وطنه . ولا يوجد في العربية صفة على « فعيل » من هذه المادة فالكلمة في صورتها الاشتقاقية جديدة ومعناها جديد ايضا . وهي تقابل « Agent » الاعجمية ، والكلمة من الشيوع بحيث يجب ان ينص عليها اذا ما اريد تسجيل العربية تسجيلا تاريخيا .

(١٥) الفوضوية وهو اصطلاح جديد يريدون به سيطرة الدهماء والفوغاء . وهو مذهب له انصار في المجتمعات الغربية الحديثة وهؤلاء الانصار نفر يحلو له ان يفكر تفكيرا غريبا مثل القول بالفوضوية . والكلمة ترجمة لـ Anarchisme وقد بنيت الكلمة الجديدة على كلمة « فوضى » المعروفة وينبغي ان نعرض لهذه الكلمة التي تقلبت في الاستعمال ، فالمعروف ان « فوضى » جمع على « فَعلى » وهي من غير شك « فضَّى » جمع فضيض ثم عرض لها الابدال ، وكثيرا ما يعرض هذا النوع من الابدال ، ثم ان المعنى يدل على هذا الاصل ، فكلمة « فوضى » تعني « المتفرقين » والى هذا ذهب الشاعر القديم :

لا يصلح الناس فوضى لا سراة لهم ولا سراة اذا جهالهم سادوا

أقول : ان هذه الكلمة اصابها التحول والتبدل بسبب الاستعمال الكثير ، فقد انتقلت من الجمع الى المصدرية اذ المعروف ان فوضى في لغتنا الحديثة تعني « عدم النظام » وما ابعد هذا عن المعنى القديم . وفي هذا عرض للتطور الذي يعتور اللغة .

(١٦) الكولونيالية وهذا مصطلح جديد معرب على هذه الطريقة قذف به المعربون في كتاباتهم السياسية ولا سيما الكتاب اللبنانيون في عصرنا . والمراد به « الاستعمار » وكأن هؤلاء عدلوا عن الاستعمار لعمومه وشموله وعدم تحديده المراحل السياسية والحدود التي يجري عليها استعباد الشعوب . وعند هؤلاء ان « الكولونيالية » ألصق بنوع خاص من السيطرة لا تؤديه كلمة « استعمار » وهو من « Colonialisme » .

ولا ندري أيكتب لهذه الكلمة المعربة الشيوع والبقاء ام يطويها الزمن كغيرها مما يقذف به الكتاب لحاجة طارئة تقتضيهم ذلك .

(١٧) مؤتمر : هذه كلمة اصطلاحية جديدة يراد منها ان تكون مقابلا لـ « Congrès » وهو الندوة التي يجتمع فيها نفر من الناس يتشاورون في امر ما والائتمار والاستئمار المشاورة وكذلك التآمر وكذلك المؤامرة . وعلى هذا فان التآمر والمؤامرة بمعناهما الحديث وهو المكيدة والغدر والخديعة لم يكن معروفا ، ولم يرد شيئا من هذا المعنى الا في « الائتمار » ففي التنزيل : « ان الملأ يأتمرون بك ليقتلوك » قال ابو عبيدة : أي يتشاورون عليك ليقتلوك . وعلى هذا فان هاتين الكلمتين : « مؤامرة » و « تآمر » من الكلمات المعروفة التي شاعت وكثر استعمالها في المعنى المشار اليه اعلاه وهي تعد من باب المولّد الجديد الذي ينبغي ان ينص عليه .

(١٨) المحسوبية : كلمة معروفة يكثر استعمالها في لغة الدواوين ويراد منها ان يكون لبعضهم من اصحاب الامر جماعة يحسبون له، فهو يقدمهم ويسالمهم ويؤثرهم على غيرهم وليس في ذلك مراعاة للحق والمصلحة العامة . وهذه الخصوصيات المعنوية شيء جديد اكتسبته الكلمة في الاستعمال الذي صير منها مصطلحا خاصا .

(١٩) المسؤولية : مصدر جديد يـراد بـه الاضطلاع بالامر وتحمل العواقب والتهيؤ للعمـل الجاد بحيث ان صاحب المسؤولية مسؤول عما يقوم بـه . وهذا مما ينبغي ان ينبه عليه في كتب اللغة التي تعنى بالجديد من المعاني .

(٢٠) النضالية وهي كلمة جديدة مبنية علـى طريقة المصدر الصناعي للدلالة على الاستعداد الطبيعي للعمل الشاق فـي سبيل تحقيق هدف سام كالاعمال الوطنية عامة والنضال ضد المستعمر مثلا . ومجيء الكلمة كما قلت على طريقة المصدر الصناعي اشعار ان هذه الكلمة اصبحت مصطلحا يفيد « القابلية على النضال » .

(٢١) الوصولية من المصطلحات الجديدة التي يراد منها صفة من هو « وصولي » أي من لا يقف دون حاجته ومصلحته أي شيء فهو يرتكب ما يرتكب في سبيل هذه الحاجة .

وهذا خلق رديء وعليه فالوصولية نبز وشتم وهي تحضر في كتابات السياسيين في عصرنا ولا بد من الاشارة الى هذا النوع من التوليد الجديد .

وهي من غير شك تقابل « **Arrivisme** » .

وبعد فهذا عرض لجملة من الالفاظ والمصطلحات الجديدة التي اقتضاها التطور اللغوي الذي تمليه حاجة من الحاجات ، فجدير باللغوي ان يشير اليها وينبه على استعمالها .

ما يفيده الجغرافي من المادة اللغوية

كنت قد نشرت في العدد الثاني من مجلة الجمعية الجغرافية العراقية مبحثا في « بداية الفكرة الجغرافية عند العرب » عرضت فيه لمشاركة اللغويين الاقدمين في المفهوم الجغرافي . واشرت الى ما كتبوا في هذا الموضوع من كتب ورسائل . ولقد بينت ان تلك الآثار تؤلف مادة لغوية ذات قيمة عالية وان كنا لا نعدم ان نجد في ذلك شيئا من العلم الجغرافي في مراحله الاولى .

وقد خلصت من ذلك الى « مخصص » ابن سيده وما فيه من مادة لغوية جغرافية ، كما اشرت الى ان ابن سيده قد اختلف عن اللغويين الذين سبقوه فلم يقتصر اهتمامه على المادة اللغوية ، بل تجاوز ذلك فصنف تلك المواد واوضح بجلاء علاقة تلك المواد بالعلوم الحضارية المختلفة . وكان له ان عرض مواد ذات الوان علمية مختلفة الى جانب قيمتها اللغوية وقد عرضت لنماذج من تلك المواد اللغوية مما كان له لون جغرافي .

واعود اليوم الى هذا المعجم لاستقري ما كان فيه من مادة لغوية جغرافية مهيئا لهذا الاستقراء صفة الاستيفاء . وسأتناول

الموضوعات مرتبة على الحروف ، ويعني هذا اني لا اتتبع ورود المواد كما هي في « المخصص » (١) . وسيجد الجغرافي الحديث كما يجد غيره من اهل الاختصاصات الحديثة مادة ضخمة مهمة يمكن ان تكون له معينا لا ينضب في توفير المصطلحات العلمية الحديثة كما يجد فيها اللفظ العربي الفصيح لكثير من المدلولات الجغرافية. واليك ما يخص مادة الجغرافية في هذا السفر النفيس :

باب الارض :

الارض ـ صفاتها ، احوالها ، تركيبها ، الارض ذات الرمل وذات الحصى ، الارض اليابسة ، الارض اللينة الهشة . **(م ١٠/ ٦٧ــ٧٠) .**

ـ مـا دون الجبال مـن الارض المرتفعة ـ

النجوة ـ المكان المرتفع الذي تظن انه نجاؤك .

الوقع ـ المكان المرتفع دون الجبل .

الزبية ـ الرابية التي لا يعلوها الماء .

---

(١) ان الموضوعات التي حفل بهـا كتاب « المخصص » لابن سيده موزعة على اسفار ، ولكن في هذا التوزيع شيئا كثيرا مـن الاختلال ، فربما انتهى السفر الخاص بموضوع من الموضوعات قبل ان ينتهي الموضوع . ولذا فان التكملة تكون في السفر الذي يليه . وكأن تجزئة الكتاب على هذا النحو من الاسفار لـم تكن وفق خطة منهجية علمية . ان هذه الاسفار متفاوتة من حيث طولها وقصرها فقد يكون السفر قصيرا جدا في حين يتجاوز السفر الاخـر الـذي يليه عـددا كبيرا مـن الصفحات . ولعل ابرز ما يدل على اختلال هذه التجزئة القاصرة ان السفر في هذا الكتاب ينعقد على موضوع من الموضوعات ويشتمل في الوقت نفسه علـى شيء اخر لا علاقة له بالموضوع الرئيس . وليس من شك ان هـذا الاضطراب كـان بسبب من جهل الناسخ وغفلته ، ثم جاء الناشر فلم يكن له من الفطنة ما يقوم بـه هذا النقص البارز .

ومن اجل ذلك آثرت ان اتبع النظام الابجدي في استقرائي للمواد ذات اللون الجغرافي .

الوادي ـ منفرج ما بين الجبال والآكام .

الرزون ـ اماكن مرتفعة يكون فيها الماء واحدها رزن .

الفرط ـ رأس الاكمة وشخصها وجمعه افراط وقد تقدم انه الجبل الصغير .

الدكاء وجمعه دكاوات وهي ـ رواب طين ليست بالغلاظ .

النجد ـ ما اشرف من الارض واستوى والجمع انجد وانجاد ونجاد ونجود .

الخيف ـ ما ارتفع عن موضع السيل وانحدر عن غِلَظ الجبل ، قال ابن دريد : وربما سميت الارض اذا اختلفت الوان حجارتها خيفا .

القُضفان والقِضفان ـ اماكن مرتفعة بين الحجاز والطين واحدتها قضفة .

الخُشرمة ـ قف حجارته رضراض منثورة فيها وعورة وليست بجد غليظة وتحتها طين ، وربما كانت في ظهور الجبال وحيثما كانت فانها لا تطول ولا تعرض وهي مركوم بعضها على بعض ، واذا كانت الخشرمة مستوية مع الارض فهي من القفاف غير ان هذا الاسم لازم لها لمكان ما خالطها من اللبن والطين ، والاسم اللازم لها « القُف » اذا كانت حجارة مترادفة بعضها الى بعض ذاهبة في الارض .... فاذا علا ظهر القف كانت فيه رياض وقيعان .

الردهة ـ شبه اكمة كثيرة الحجارة ، وهي تلال القفاف ، وقد قالوا : الردهة : النقرة يستنقع فيها الماء .

الجلد ـ ما غلظ من الارض وهي طين صلبة وفي بطنها حجارة مختلطة بها .

البرقة والبرقاء والابرق ـ غلظ فيه حجارة ورمل ، قال ابو حنيفة :

وقد يكون الابرق علما سامقا من حجارة على لونين او طين وحجارة . الامعز والمعزاء ــ الكثير الحصى .

الحرة ــ التي قد البسها كلها حجارة سود كأنها احرقت بالنار وللعرب حرار كثيرة (١) .

الدخرصة والدخريص ــ عنيق يخرج من الارض وقد تقدم في البحر ، واذا سال آنف من الحرة فهو كراع .

والحرة الرجلاء وهي المستوية بالارض الكثيرة الحجارة لا يجاوزها الراكب حتى يترجل .

والحرة المضَّرسة وفيها كأضراس الكلاب من الحجارة .

الصنحرة ــ جوبة تنجاب في الحرة وتكون ارضا لينة تطيف بها حجارة .

الفقء ــ كالحفر في وسط الحرة وقد تقدم انه من مناقع المياه .

(م ١٠/٧٩ــ٩٠) .

الاوديــة :

الوادي ــ منفرج ما بين الجبال والتلال والآكام .

جزع الوادي ــ منعرجه حيث ينعطف والجزع ايضا خارج منه من جانبيه .

الشجرة ــ مشرف ينحدر عن شفير الوادي الى بطنه شيئا لا يعلوه الماء وتنبت نباتا كثيرا وهي الحق ببطن الوادي من المحنية واصغر منها لا تكون الا بائنة من السند يجري الماء بينه وبينها وانما هي جراثيم في بطن الوادي مرتفعة عن المسيل .

---

(١) الحرة صخور بركانية سوداء تكثر في بلاد الحجاز وفي موضع من هذه الحرات ، حدثت معركة الحرة المشهورة في التاريخ الاسلامي .

التيهور والتيهورة ـ ما بين أعلى الوادي واسفله العميق وقد تقدم انها ما بين أعلى الجل واسفله .

اللِصب ـ مضيق الوادي .

الحاجر ـ ما يمسك الماء من شفة الوادي . قال ابو حنيفة : الحاجر ـ شفة الوادي مما يلي بطنه ينبت بطنه .

شط الوادي ـ سنده الذي يلي بطنه والجمع شطوط .

الجُرف ـ ما أكل الماء من شط الوادي من اسفله فاذا لم يأكل الماء من اسفله فهو شط ولا يدعى جرفا .

وهناك مادة كثيرة تتعلق بالاودية واشكالها نجدها في

(م ١٠/١٠١–١١٢) .

هذا عرض موجز للمادة الجغرافية او ما كان لها صلة بالعلم الجغرافي في كتب العربية القديمة مما يعكس ادراك العرب في اعصرهم الخالية الطبيعة التي عاشوا فيها ادراكا صحيحا فوصفوا اجزاءها ومعالمها وصفا جغرافيا .

الجبال :

القَنعة ـ ما نتأ من رأس الجبل .

الضهر ـ أعلى الجبل وهو الضاهر ، وقيل : الضهر خلقة فيه من صخرة تخالف جبلته .

النِيق ـ ارفع موضع في الجبل .

القُنة ـ القطعة تستدير في أعلى الجبل . قال ابو عبيد : الجمع قلل وقنن وقنان .

الاقن ـ خروق في اعلى الجبل واحدتها أقنة .

الشعاف ـ رؤوس الجبال واحدتها شعفة .

العقبة ــ طريق في الجبل . وكذلك « الشعب » .
العقاب ــ مرقى في عرض الجبل .
اللهب ــ مهواة بين كل جبلين .
اللهور ــ ما بين اعلى الجبل واسفله « هذلية »
المنقبة والنقب ــ طريق ظاهر على رؤوس الجبال .
الجر ــ اصل الجبال ــ وكذلك الحضن .
السند ــ المرتفع في اصل الجبل والقبل مثله .
السفح ــ اسفل الجبل وقيل هو الحضيض

(م ١٠/٧٠ــ٧٩) .

باب البحر :

الخليج ــ من البحر سمي لانه يجذب من معظم البحر ، وكذلك خريص البحر خليج منه .
الخور ــ الخليج من البحر ، وقيل الخور مصب الماء فيه اذا جرى .
الفنب ــ الضارب من البحر حتى يمعن في البر .
العالة ــ ما ينقطع من ماء البحر فيجتمع في موضع منه .
الجزيرة ــ ماجزر عن البحر ، قال ابن دريد : سميت جزيرة لانقطاعها عن معظم الارض .
الدبر ــ قطعة تغلظ في البحر كالجزيرة يعلوها الماء وينضب عنها .

(م ١٠/١٥ــ٢٠) .

باب السحاب وانواعه :

الدجن ــ اظلال السحاب الارض وهو الباسه اياها أمطر او لم يمطر. والدجنة من الغيم المطبق اطباقا .

العارض ـ الذي يعرض في قطر من اقطار السماء من العشي ثم يصبح وقد حبا واستوى واذا اقبل اليك واخذ يعلو فهو الحبي .

الصبير ـ السحابة البيضاء .

النَمِرة ـ السحابة كجلد النمر من غيم صفار تكاد تتصل .

الحبير من السحاب ـ الذي ترى فيه كالتنمير من كثرة مائة .

القزع ـ سحاب صفار يتطاير في السماء ، وقيل : هي قطع رقاق كأنها ظل من تحت السحاب ، وقيل : هو السحاب المتفرق ومنه قزع الخريف الواحدة قزعة .

الكِسَف ـ قطع السحاب العريضة .

الرمي ـ قطع من السحاب صفار دقاق قدر الكف او اكبر شيئا والجمع ارماء .

الكنهور ـ قطع من مثل الجبال واحدتها كَنهورة .

المعصرات ـ ذوات المطر . قال تعالى : « وانزلنا من المعصرات ماء ثجاجا » .

الفارق ـ السحاب تفارق معظم السحاب فتنفرد وربما امطرت بأماكن اخرى .

كفاف السحاب ـ اسافله .

العين ـ كل سحابه تبدأ من قِبَل القبلة .

الخسيف من السحاب ـ ما نشأ من قبل العين .

النقح ـ سحاب ابيض صيفي .

الركام ـ اذا ركب السحاب بعضه بعضا وكذلك المكفهر .

الرباب ـ السحاب المتعلق دون السحاب وقد يكون ابيض ويكون اسود .

الهيدب ـ الذي يتدلى ويدنو مثل هدب القطيفة .

المزن ــ ذو الماء الريان .

ومن امارات الغيث عندهم :

الهالة التي تكون حول القمر فان كانت كثيفة مظلمة كانت من دلائل المطر ولا سيما ان كانت مضاعفة .

ومن دلائله النَدأة والنُدأة وهي الحمرة التي تكون عند مغرب الشمس ايام الغيوث .

ومن دلائله ان ترى القمر والكواكب في الصحو يحيط بهــا لون يخالف لون السماء وكذلك ان رأيت القمر في الغيم وان كان قزعا كأنه تحيط به خطوط قوس المزن .

(م ٩/٩٣-١٠٤)

صرف الماء وسده :

السِكر ــ وهو السداد الذي تجعله سدا للبثق ونحوه .

الصناعة والصنع ــ وهو خشبة يحبس بها الماء .

العرمة ــ السِكر والمسناة وهو السد يعترض به الوادي والجمع عرم ، وفي التنزيل : « فأرسلنا عليهم سيل العرم » .

الحوالة ــ تحويل الماء من نهر الى نهر .

البثق ــ كسر شط النهر لينبعث ماؤه .

النجل ــ ما يستنجل من الارض من الماء .

الامدان ــ الماء الناقع في السبخة .

آلات الاستقاء :

الدالية ــ جذع طويل يركب تركيب مداق الارز وفي رأسه مغرفة عظيمة مقيَّرة من خوص او بواري تأخذ مــاء كثيرا ويجعل ما

يلي المفرفة من الجذع اقصر وهو هادية ومقدمة بقدر ما يبلغ الماء اذا انحط ويجعل مؤخره اطول فيركبه الرجال مشيا عليه فاذا صاروا الى مؤخر الجذع ارتفع مقدمه فاذا أزي بالازاء وهو مهراق المغرفة كفأها رجل قائم على الازاء فمضى الماء في الجدول الى المزرعة ونزل الرجال عن الجذع فهذا دأبهم . والدولاب تدور دور الشهرق وعلى قراها مسدان كل مسد مجموع طرفاه وقد ربطت بينهما كيزان كالدلاء الصفار من حوض قد قيرت . ويقال الكيزان « العصامير » وهما مقدران على قدر بعد الماء من موضع مصب تلك الدلاء ، فاذا دار الدولاب أصعد الدلاء من جانب وهبطت التي تقابلها من الجانب الآخر فاغترفت الفارغة وعلت المملوءة ، فاذا علت قرا الشهرق وهمت بالانتكاس افرغت ما فيها في جدول من خشب تدور عليه المنجنون وتدير المنجنون الابل او البقر او الحمير والشهرق كلمة فارسية قد استعملتها العرب .

الفاجوش ـ خشبة تنقر ويثقب فيها اربعة ثقب ويشدون فيها حبلا ويستقون .

(م ٩/١١٥ـ١٦٣) .

بـاب الشجر :

ذكر ما يعم الشجر ويخصها من المنابت .

السليل والسال وجمعه السلائل والسلان ـ مطمئن من الارض يكثر به الشجر ، وقيل السليل ينبت السلم (١) خاصة . وقيل ينبت السمر (٢) .

---

(١) قال ابو حنيفة : هو نوع من العضاه له قضبان طوال وليس لـه خشب وان عظم وله شوك دقاق وله برمة صفراء فيها حبة خضراء وطيبة الريح .

(٢) في « اللسان » ان السمر نوع من العضاه وانه صغير الورق قصير الشوك جيد الخشب وله برمة يأكلها الناس .

ومن مجامع الشجر الفميس : وهو مسيل صفير .
ومن منابت الشجر الفصيم : وهو اجمة الفضى (١) .
العرق ــ سبخة تنبت الشجر وجمعه عراق ، وعن ابن الاعرابي : ان العراق مجامع الحمض . وقال ابو حنيفة : الحومان من منابت العرفج .
الدغل ــ الشجر الملتف الكثير والجمع ادغال ومكان دغل وداغل ومدغل .
والشجراء ــ الشجر المجتمع ومثله الفيضة والجمع الفياض .
الاجمة ــ الشجر الكثير الملتف والجمع اجم وآجام .
الحرجة ــ جماعة الشجر وجمعها حراج واحراج وحرج . وقال بعضهم : الحرجة تكون من السمر والطلح والعوسج والسلم والسدر .
العيص ــ جماعة الشجر ذي الشوك والجمع اعياص .
الفيل : جماعة القصب وقال : الاجمة من البردي هي غيل .
الزارة ــ الاجمة ذات الحَلفاء والماء والقصب وكذلك الخيس .
الخيسة ــ الملتف من الاشاء والقصب والنخل .
الصريمة ــ الجماعةمن العِضاه والارطى .

(م ١١/٤٢ــ٤٧)

اعيان النبات والشجر :

الزريعة ــ الارض المزروعة .
البذر ــ الحب ما دام في التراب .

---

(١) في « اللسان » ان الفضي من نبات الرمل لـه هدب كهدب الارطى ، والغضا ايضا شجر من الاثل ذو خشب حسن النار .

البزر ـ كل ما يبذر للنبات ، والبزر ـ الحبوب الصفار ، فاذا بدت رؤوسه وابيضت منـه الارض فذلـك التقصيع والتشويك وذلك ان يطلع حديد الرؤوس كأنه الشوك ، واذا طلع نبات الزرع قيل : وتد .

وقد احقل الزرع وذلك اذا هم ان تخضر رؤوسه . قال ابو حاتم : وهو اذا اتسع ورقة قبل ان تغلظ سوقه .

المحاقلة ـ بيع الزرع قبل بدو صلاحه . فاذا بيـع اخضر لم تؤمـن عليه العاهة فذلك المخاضرة .

البَغرة ـ ان يزرع الزرع بعد المطر فيبقى فيه الثرى حتى يحفل ، فاذا صارق له سوق فقد أقصب .

(م ١١/٤٩ــ٥٦) .

باب اشجار الجبال :

العرعر ـ من اشجار الجبال « قالوا : انـه الساسم ويقـال لـه : الشيزي Juniperus ، وقيل انه السرو Cupressus .

الارز ـ وهو الذي يسمى بالعراق الصنوبر .

الظيان ـ وهو ياسمين البر واحدته ضيانة .

النبع ـ واحدته نبعة « قال ابو حنيفة : انه شجر اصفر العود رزينه ثقيله في اليد واذا تقادم احمر » .

النشم ـ واحدته نشمة . ومنها الشوحط والتألب ، ومنها الحماط والحِثْيَل والجليل ، ولم يصف النباتيون الاقدمون هـذه الاشجار الجبلية وكل ما ذكروه لا يتعدى الوصف البسيط الذي لا يعدو طبيعة النبات وصنفه .

قالوا : الحماطة والحماط مثـل الصلّيان الا انـه خشن المس وان الازهري زعم بأن الحلمة والحماط واحد ، والحماطة ايضا شجرة الجميز .

وقالوا ـ الجليل هو الثمام اذا عظم وجل .
والثمام ـ نبت ضعيف لـه خوص تسد بـه خصاص البيوت وهو انواع منها : الضعة ومنها الغرف وهو شبيه بالاسل وتتخذ منه المكانس ويظلل به المزاد فيبرد الماء .
ومنها الغرف ـ وهو شجر يدبغ به وكذلك الغلف .
ومنها الشث ـ شجر طيب الريح مـر الطعم يدبغ به منبته في جبال الغور وتهامة ونجد .
ومنها المظ ـ وهو الرمان البري .
ومنها الرنف ـ قال ابو حنيفة : هو من شجر الجبال ينضم ورقه الى قضبانه اذا جاء الليل وينتشر بالنهار .
ومنها الشوع « وهو شجر جبلي وهو البان » .
ومنها الضبر « قال الاصمعي : وهو جوز الجبل » .
ومنها القان والواحدة قانة .
ومنها الغِريَف « وهو كل شجرة ملتف . ويقال العريف ايضا » .
ومنها الخزم ـ والواحدة خزمة « وهو شجر لـه ليف يتخذ مـن لحائه الحبال » .
ومنها العُتم ـ والواحدة عتمة .
ومنها الرتم ـ والواحدة رتمة « قيل انـه شجر له زهر كالخيري وحب كالعدس » .
ومنها الاثأب ـ ويقاب الاثب « وهو شجر ينبت في بطون الاودية بالبادية وهو وارف الظل » .
ومنها الجَعدة ـ وهي حشيشة برية فيها تجعد تنبت فـي القيعان وفي شعاب الجبال بنجد قيل ان لها رعثة الديك . قال النضر بـن شميل : هي شجرة طيبة الريح خضراء لها قضب وفي اطرافها ثمر ابيض تحشى بها الوسائد لطيب ريحها .

الساسَم ـ « قيـل انـه الابنوس وقيل : انـه شجـر تتخذ منـه السهام » .
الشريان « هو من شجر القسي » .
العَجرم ـ صنف من شجر العضاه .
الكرات ـ ضرب من النبات ممتد اهدب اذا ترك خرج مـن وسطه طاقة فطارت . وتطول قصبته الوسطى حتى تكون أطول من الرجل ، وقيل انه لها خطرة ناعمة لينة اذا فدغت سال منها لبن . اما الكَراث بالتخفيف فبقلة .

(م ١٤١/١١) .

اما ما ينبت في الجلد والغلط ـ « الارض الصلبة » فأهم انواعها ما يأتي :
السخبر ـ شجر ينبت نبات الاذخر على طوله وعرضه وريحه وقيل يشبه الثمام لـه جرثومة وعيدانه كالكراث في الكثرة كأن ثمره مكاسح القصب او أدق فاذا طال تدانت رؤوسه وانحنت وفيه حرارة وذفر طيب وجعله ابو عبيد من نبات السهل .
الاسليح ـ طوال القصب في لونه صفرة تأكله الابل وقيل : هو عشبة تشبه الجرجير وتنبت في حقوف الرمل .
الارث ـ شوك شبيه بالكعر الا ان الكعر اسبط منه ورقا .
البسباس ـ طيب الطعم والريح يأكله الناس والماشية .
الثَغر ـ من خيار العشب اغبر يضخم حتى يصير كأنه زبيل مكفوء مما يركبه من الورق وزهرته بيضاء وله شوك ليس بالقوي تأكله الابل .
الجفنة ـ تنبت فيه منسطحةفاذا يبست تقبضت واجتمعت ولها حب كالحلبة اصفر وهي تبقى سنين يابسة تأكلها الحمـر والمغري ، وقيل : هي صلبة صغيرة مثـل العيشوم لها عيدان

صلاب دقاق قصار وورق اخضر اغبر اسرع البقل نباتا اذا مطرت واسرعه هيجا .

الحرشف ـ اخضر مثل الحرشاء غير انه اعرض منها وله زهرة حمراء وقيل : هو نبت خشن له شوك يسمى بالفارسية كنكر .

الحلفاء ـ سلبة غليظة المس لا يكاد احد يقبض عليها مخافة ان تقطع يده وقد تأكلها الابل والغنم اكلا قليلا وهي احب شجرة الى البقر وهي من الاغلاث .

الحِفَرى ـ ذات ورق وشوك صغار ولها زهرة بيضاء تكون مثل جثة الحمامة وقيل : هي بقلة ربعية .

الحلق ـ شجرة تنبت نبات الكرم ترتقي في الشجرة ورقها شبيه بورق العنب حامض يطبخ به اللحم وله عناقيد كعناقيد العنب الذي يحمر ثم يسود فيكون مزا ويؤخذ ورقه فيطبخ فيجعل ماؤه في العنصفر فيكون أجود له من حب الرمان ويحمل اذا جف .

القلقل ـ شجرة خضراء تنهض على ساق لها حب كحب اللوبياء حلو يؤكل والسائمة تحرص عليه واذا جف فدق واوخف بالماء كان كالفراء فيضمد به الخلع .

(م ١١/١٤٧–١٥٠) .

ما ينبت في السهل :

من نبات السهل الرمث والقضة ، والعرفج ، والنقد ، والنعض والشقاري والحنزاب والسطاحة والفبراء والطحماء والنفل والحسك والسعدان والجرجار والعرار والخزامى والاقحوان، والبهمى والحوذان والخطمي والخبازي والسوس والدرماء والحرشاء والصفراء والكرش، والافاني والحلمة والينمة والشبرم

والنقل والجثجاث والتربة والشكاعي والحنوة والزباد وهو الزبادي ومنه القراص والذرق والعبيثران والعبوثران ومنه الصعبر والصنعبر ومنه الفبيراء والعناب ومنه الكشا والشويلاء والفنا وهو ثعالة والثلثان والربرق والمكر والجدر والشداء والحصاد والحسار والنجرة والتوأمان والجليف والحماص والحبق والخشيناء والذفراء والذنبان والرشاة والرشأة والرمرام والزقوم والسلسة والشيعة والصعتر والضعة والعضرس والعجلة والعثرب والعيقفان والغراء والغلف والغزالة والقرظ والقضب والكحلاء والمرار والمرة والورقاء واليعضيد ومنها الاخريط واللزيقي والصميماء والبنج والخطرة وقد تنبت في الرمل ومنها القملول ومنها البلة واللقط واللقطة والرقمة والارانية .

(م ١١/١٥١ - ١٥٢).

ووصف هذه النباتات بشكل مفصل في

(م ١١/١٥١ - ١٦٣) .

الحلة - شجرة اصغر من العوسجة الا انها أنعم ولا ثمر لها ولها ورق صغار وهي مرعى .

راحة الكلب - على قدر راحة الكلب ليست لها زهرة ورقها عراض قصار تتسطح على الارض .

السلام - هي أبدا خضراء لا يأكلها شيء والظباء تلزمها تستظل بها وليست من عظام الشجر ولا العضاء .

السنعبق - نبات في الصخر يتدلى حبالا خضرا لا ورق لها وله نور مثل نور الدفلى لا يأكله شيء ولا يجرسه النحل رائحته خبيثة واذا قصف منه عود سال منه ماء صاف لزج له سعابيب .

السماق - شجر له ثمر حامض عناقيد فيها حب صغار يطبخ .

العشرق - من الاغلاث وهو شجرة تنفرش على الارض عريضة الورق ليس لها شوك ولا يكاد يأكلها الا المعزى الا ما كان من حملها

فانه يؤكل حبه ويسمى الفنا ، واذا سقطت حبة العشرق في الارض ويبست احمرت حتى تكون كأنها عهنة حمراء ويمتشط بورقه فيسود الشعر وينبته .

العكرش ـ تنبت في السباخ وقيل هي من الحمض .

العتر ـ شجيرة ترتفع ذراعا ذات أغصان كثيرة وورق أخضر مدور مثل ورق التنوم .

القفعاء ـ شجيرة خضراء ما دامت رطبة وهي قضبان قصار تخرج من اصـل واحد لازمة للارض لها وريـق صغير فـاذا همت بالجفوف وارتفعت عن الارض وتقبضت فتجمعت ولا تؤكل واذا أخصبت طالت . وقيل : نبتة خوارة ضعيفة مـن نبات الربيع خشناء الورق لها نور أحمر أمثال الشرر صغار وورقها مستعليات من فوق وثمرتها متقفعة من تحت .

ما ينبت في الرمـل :

من نبات الرمل : الغضى والارطى واحدته أرطاة والالاء ومنه الامطي والمصاص والرخامى والعلقى . ومن شجر العلجان والعلندى والهيشر والغرف والحرمـل واحدته حرملـة والحـواء والحمحم والخمخم والخطرة والخطر والدارم والشبرق والصبغاء والطيطـان والعيشوم والعرادا والغاف والكراث وهـو الركلة بلغة عبد القيس وبائعه ركـال .

ومنها المحروت ومنها الكرية والوبراء ومنها الكشمخة والجدف ومنها الفقاح ومنها الدهماء والبركان .

(م١١/١٦٣) .

وفي (م ١١/١٦٣ ـ ١٦٦) وصف مسهب لهذه الانواع مـن النبات والشجر .

كتاب الانواء :

كانت دلالة الانواء عند الاقدمين على اشياء لا تدخل في مواد علم الانواء في عصرنا الحديث .

اشتملت مادة الانواء عند الاقدمين على المواد الآتية :

(١) باب ذكر السماء والفلك .

ويدخل في هذا الباب السماء ونجومها وكواكبها وادراكهم لمسألة السماوات السبع واسماء النجوم ومنازلها والقمر ومنازله .

(٢) البروج وهي منازل الشمس ومنازل القمر .

كما يدخل في الانواء الرياح وعلاقة الرياح بالنجوم والقمر ومنازلها .

والادراك القديم لما يدخل في علم الانواء الحديث يبدو في اسجاعهم القديمة المشهورة . ومن ذلك ما جاء في كتب الانواء العربية القديمة مثل كتاب الانواء لابن قتيبة ومخصص ابن سيده الذي اعتمدنا عليه في استخلاص هذه المواد الجغرافية الاولى :

قال ابو حنيفة : قال فقيه العرب : اذا طلع النجم فالحر في حدم والعشب في حطم والعانات في كدم .

وقيل : اذا طلع النجم اتقي اللحم وخيف السقم وجرى السراب على الاكم .

وقيل : اذا طلع النجم غدية ابتغى الراعي شكية .

وقيل : اذا طلع النجم غديا ابتغى الراعي سقيا .

وقيل : اذا أمسى النجم يقبل فشهر فتى وشهر حمل .

وقيل : اذا أمسى النجم بدبر فشهر نتاج وشهر مطر .

وقيل : اذا طلعت الجوزاء توقدت المعزاء وكنست الظباء وعرقت العلباء وطاب الخباء .

وقيل : اذا طلعت الذراع حسرت الشمس القناع واشعلت في الافق الشعاع وترقرق السراب بكل قاع .

وقيل : اذا طلعت الشعرى سفراء ولم تر مطرا فلا تغدون امرة ولا امرا وارسل العراضات اثرا يبغينك في الارض معمرا .

(م ٢/٩ – ١٧) .

ومثل هذا كثير عندهم وهو مبني على مشاهداتهم وتجاربهم ولكنه يظهر شيئا مما ندعوه اليوم بـ « الانواء الجوية » . وهو ادراك ساذج قديم .

ويدخل في « كتاب الانواء » موضوعات هي :

(١) صفة الشمس واسماؤها .
(٢) طلوع الشمس وكسوفها وغروبها .
(٣) صفة القمر واسماؤه .
(٤) خسوف القمر وغروبه .
(٥) اسماء أيام الشهر ولياليه .
(٦) صفات الشهر .
(٧) الدراري .
(٨) الرياح واتجاهاتها .
(٩) السحاب وانواعه .
(١٠) الغيث والمطر .
(١١) الرعد والبرق .
(١٢) السيول .
(١٣) المياه . (م٩/١٨ الى آخر السفر) .

Dr. Ibrahim As-Samarrai writes an explanatory note on certain technical terms used in Geography taken from the works of Ibn Seeda.

بداية الفكر الجغرافي عند العرب

كتب المسلمـون الاقدمـون مادة جغرافيـة . وهـذه المادة « الجغرافية » تشتمل على انماط شتى مما ندعوه في عصرنا هـذا بالجغرافيـا . فأنت واجد في ذلك مـادة تدخل نطـاق الجغرافية الرياضية ، كالبحث في شكل الارض وفي مسألة الطـول والعرض ولذلك فان من اسمائهم التي اطلقت على ما ندعوه بـ (الجغرافية) (علم الاطوال والعروض) . وانت واجد في هذه المادة حشدا مـن المعلومات الجغرافية يدخل فيما ندعوه بالجغرافية الطبيعية كمـا تدخل انماط منها فيما ندعوه بالجغرافية الاقتصادية او الجغـرافية البشريـة .

ومن المهم ان نشير الى ان كلمة (جغرافية) قد ندر استعمالها حتى انهم استعملوها في الكلام على المفاهيم الجغرافية الاغريقيـة ولا سيما ما يخص « بطليموس » الجغرافي الاغريقي القديم . وظلت كلمة (جغرافية) عندهم مصطلحا علميا لم يحاولوا ان يجدوا لـه مقابلا في العربية كما اشار حاجي خليفـة في كشف الظنون (١) .

---

(١) كشف الظنون (طبعة فلوجل) ٢٠١/٢ .

وظلت كتب الجغرافية تحمل اسماء (البلدان) او (تقويم البلدان) او (عجائب البلدان) او (المسالك والممالك) .

وهذه المادة على العموم قد اتصفت بالطابع الوصفي الذي يتكىء على التاريخ كثيرا . وليس عجيبا أننا نرى الكثير في هذا الحشد الجغرافي يؤلف مادة تاريخية او ادبية او لغوية ذلك ان طائفة من اولئك الكتاب الجغرافيين كانت من زمرة الادباء والمؤرخين.

ولا اريد ان اسرف في عرض تمهيد او مقدمة سبقني في الكلام عليه طائفة كبيرة من الباحثين في عصرنا . ولكني اريد ان اخلص الى انه ربما كان من المفيد ان انبه الى شيء آخر ، ذلك ان جمهرة اولئك الباحثين وجلهم من المستشرقين العلماء هم الذين نبهوا الى مكانة المسلمين في القرون الوسيطة من ناحية الاختصاص الجغرافي ولكنهم اقتصروا على التنويه بمجهود طائفة منهم كابن خرداذبة المتوفى سنة ٢٧٢ هـ / ٨٨٥ م وابن رستة المتوفى سنة ٢٩٠ هـ / ٩٠٣ م ، وقدامة بن جعفر المتوفى سنة ٣٢٠ هـ / ٩٣٢ م وابن الفقيه المتوفى سنة ٢٩٠ هـ / ٩٠٣ م وابن فضلان المتوفى في بداية القرن الرابع الهجري واليعقوبي المتوفى سنة ٢٧٨ هـ / ٨٩١ م والبلخي المتوفى سنة ٣٢٢ هـ / ٩٣٤ م والاصطخري المتوفى بعد سنة ٣٤٠ هـ وابن حوقل المتوفى بعد سنة ٣٦٧ هـ والمقدسي المتوفى بعد سنة ٣٧٨ هـ والبكري المتوفى سنة ٤٨٧ هـ / ١٠٩١ م والادريسي المتوفى سنة ٥٦٠ هـ / ١١٦٦ م والمسعودي المتوفى حوالي سنة ٣٤٥ هـ والبيروني المتوفى سنة ٤٣٠ هـ / ١٠٤٨ م وياقوت الرومي المتوفى سنة ٦٢٧ هـ / ١٢٢٩ م والقزويني المتوفى سنة ٦٨٢ هـ / ١٢٨٣ م وابو الفدا المتوفى سنة ٧٣٢ هـ / ١٣٣١ م والعمري المتوفى سنة ٧٤٨ هـ / ١٣٤٨ م ، وابن جبير المتوفى سنة ٦١٤ هـ / ١٢١٧ م وابن بطوطة المتوفى سنة ٧٧٩ هـ / ١٣٧٧ م والعياشي المتوفى سنة ١٠٩٠ هـ / ١٦٧٩ م .

وقد بدا لي ان اعرض لشيء يتصل بنشأة الفكر الجغرافي او قل بالمادة الجغرافية الاولى على نحو لم يهتد اليه الباحثون في الجغرافية القديمة فيما يتعلق منها بالعرب المسلمين في العصور الوسطى كما أشرنا في المقدمة القصيرة .

وهذا الذي يتعلق بنشأة الفكر الجغرافي العربي او بالمادة الجغرافية الاولى يتحقق فيما سطره علماء العربية الاقدمون الذين لم يفطن اليهم الباحثون المحدثون فيعرضوا لما اهتدوا اليه من مادة جغرافية اولى لا يمكن الا ان تعتبر بداية الفكر الجغرافي عند المسلمين في عهود العربية الاولى .

وقد عنى اللغويون الاقدمون بتحديد البقاع والمنازل الكثيرة التي وردت في أدب الجاهليين والاسلاميين وأحاديث الرسول (ص) وآي القرآن الكريم وألفوا في ذلك رسائل قبل عصر التأليف المعجمي . ولقد قفا على آثار هؤلاء جماعة انصرفوا الى شيء أقرب الى الاختصاص وهم أهل البلدان الذين اقتبسوا من أهل الحضارات الاخرى مادة « جغرافية » وقد أشار ياقوت في مقدمة معجم البلدان (٢) الى وجود هذين الاتجاهين . ولكني عزفت عن هؤلاء وعدلت الى الاقدمين من علماء اللغة كما أشرت .

ولعل اول هذه الطائفة خلف الاحمر البصري المتوفى في حدود سنة ١٨٠ هـ وهو مؤلف كتاب « جبال العرب وما قيل فيها من الشعر » وابو الوزير عمر بن مطرف المتوفى في خلافة المهدي (١٥٨ــ ١٦٩) او الرشيد (١٧٠ ــ ١٩٣) مؤلف كتاب « منازل العرب وحدودها ، واين كانت محلة كل قوم ، والى اين انتقلوا » (٣) ولم

---

(٢) انظر مقدمة معجم البلدان لياقوت .

(٣) انظر المعجم العربي ١٤٦/١ لحسين نصار (مطابع دار الكتاب العربي بمصر سنة ١٩٥٦) .

يصل الينا هذان الكتابان ولا مقتبسات منهما . وقد ألف ابو المنذر هشام بن محمد الكلبي المتوفى سنة ٢٠٤ هـ عدة كتب من هذا الباب هي :

الانهار ، الاقاليم ، الحيرة وتسمية البيع والدبارات ، البلدان الكبير ، البلدان الصغير ، اشتقاق البلدان ، انساب البلدان ، وربما كانت هذه الثلاثة الاخيرة كتابا واحدا .

وألف ابو عبيدة المتوفى سنة (٢١٠هـ) كتاب الحرات . والحرة الصخور السوداء البركانية التي تكثر في جهات جبلية من بلاد العرب كجبال الحجاز مثلا ، وكتاب مكة والحرم (٤) . وللاصمعي المتوفى سنة (٢١٣ هـ) كتاب مياه العرب وكتاب جزيرة العرب ، وكتاب الدارات . وقد ألف ابو زيد الانصاري المتوفى سنة (٢١٥هـ) كتاب المياه (٥) .

ولسعدان بن المبارك المتوفى سنة (٢٢٠ هـ) كتاب الارضين والمياه والجبال . ولابي عبدالله احمد بن ابراهيم نديم المتوكل كتاب اسماء الجبال والمياه والاودية . ولعرام بن الاصبغ السلمي كتاب تهامة وسكانها . ولشمر بن حمدويه المتوفى سنة (٢٥٥ هـ) كتاب الجبال والاودية . ولابي سعيد الحسن بن الحسين السكري المتوفى سنة (٢٧٥ هـ) كتاب المناهل والقرى (٦) .

ومن علماء القرن الرابع الهجري الحسن بن عبد الرحمن بن خلاد الرامهرمزي المتوفى سنة (٣٦٠ هـ) كتاب المناهل والاعطان والحنين الى الاوطان ، ولابي سعيد الحسن بن عبد الرحمن المتوفى سنة (٣٦٨ هـ) كتاب جزيرة العرب . وللحسين بن محمد الرافقي

---

(٤) ابن خلكان ، وفيات الاعيان ١٥٦/٢ ، ياقوت ، ارشاد الاريب ١٦٢/١٩ .
(٥) القفطي ، انباه الرواة ١٩٧/٢ .
(٦) المصدر السابق ٢٩١/١ .

المتوفى سنة (٣٨٨ هـ) كتاب الاودية والجبال والرمال . ولاحمد ابن فارس المتوفى سنة (٣٩٥ هـ) كتاب دارات العرب .

وفي القرن الخامس ألف ابو محمد الحسين بن احمد الفندجاني الاعرابي الاسود المتوفى سنة (٤٢٨ هـ) كتاب اسماء الاماكن وكتاب مياه العرب . وللبكري ابو عبيد عبد الله بن عبد العزيز الاندلسي المتوفى سنة (٤٨٧ هـ) كتاب معجم ما استعجم من اسماء البلاد والمواضع .

وفي القرن السادس كتب ابو القاسم محمود بن عمر الزمخشري المتوفى سنة (٥٣٨ هـ) كتاب الجبال والامكنة والمياه . وهكذا استمر هؤلاء اللغويون المتأدبون في تحرير هذه المادة الادبية اللغوية التي تؤلف مادة جغرافية . ثم نضج هذا الاختصاص عند المتأخرين الذين عرفوا بالجغرافيين العرب او المسلمين ومن هؤلاء الذين عرفوا بهذا الاختصاص ياقوت الحموي المتوفى سنة (٦٢٧ هـ) في « معجم البلدان » وفي كتابه الآخر (المشترك وضعا والمفترق صقعا) وهذا الكتاب الاخير باب كتب فيه غير واحد آخرهم محب الدين الفيروز أبادي المتوفى سنة (٨١٧ هـ) .

وأريد ان أخلص بعد هذا العرض الوافي لجهود اللغويين التي تتصل بمادة الجغرافية الى الكلام على عمل من الاعمال الكبيرة ذلكم هو كتاب المخصص لابي الحسن علي بن اسماعيل بن سيده المرسي الاندلسي (٧) وكان هذا كفيف البصر كما كان ابوه من قبل . وهو

---

(٧) انظر : الضبي ، بغية الملتمس ط . فرانسيسكو كودرا (Franciscus Codera) مدريد سنة ١٨٨٥ ص ٤٠٥ رقم ١٢٠٥ ؛ ابن بشكوال ، الصلة (ط. كودرا) مدريد سنة ١٨٨٣ ؛ صاعد الاندلسي ، طبقات الامم (ط. رجيس بلاشير) ص ١٤٢ ؛ السيوطي بغية الوعاة القاهرة ١٣٢٦ ص ٣٢٧ ؛ الحميدي ، جذوة المقتبس (تحقيق الطنجي القاهرة) ص ٢٩٣ ؛ ابن خلكان ، وفيات الاعيان (القاهرة ١٣١٠) ٢/٢٥٠ ؛ ياقوت ، معجم الادباء (القاهرة ١٩٣٨) ٢٣١/١٢ ؛ الصفدي ، نكت الهميان (القاهرة) ص ٢٠٤ ؛ ابن خاقان ، مطمح الانفس ص ٦٠ .

من علماء القرن الخامس الهجري فقد توفى سنة ٤٥٨ هـ وقد اخذ عن صاعد البغدادي اللغوي الموصلي الشهير الذي قدم الاندلس فعظمت شهرته . واستطاع ابن سيده ان يأخذ علوم المشرق عن صاعد هذا الذي كان تلميذ ابي علي الفارسي والسيرافي . وكانت انظار اهل الاندلس والمغرب متجهة ابدا شطر المشرق يأخذون منه العلم .

ثم تتلمذ على ابي عمرو الطلمنكي المتوفى سنة (٤٢٩هـ) (٨) وعنه اخذ كتاب (الغريب المصنف) لابي عبيد الهروي ، وقد أفاد من « غريب » ابي عبيد كثيرا .

واذا عرفنا ان ابن سيده كان من علماء اللغة ، ادركنا ان « المخصص » من كتب اللغة بل هو معجم من معجمات المعاني . وقد الفه ليكون جامعا لما تشتت من كتب من سبقه فقد قال في المقدمة : « الا اني وجدت ذلك نشرا غير ملتئم . ونثرا ليس بمنتظم اذ كان لا كتاب نعلمه الا وفيه من الفائدة ما ليس في صاحبه . ثم اني لم ار لهم فيها كتابا مشتملا على جلها فضلا عن كلها » (٩) .

والكتاب مقسم الى ابواب عديدة ، وعدة هذه الابواب تتناول مسائل شتى من مسائل الحضارة فهو يفرد ابوابا لمختلف الصناعات كما يفرد للزراعة مثل ذلك فيتحدث عن الاشجار المثمرة وعن النبات وعامة الاشجار وعما ينبت في السهل وما ينبت في الجبل وعن العطور وعن المعادن . وكان قد اراد لكتابه هذا ان يكون شيئا آخر يضم انماطا شتى من الحضارة وهو من أجل ذلك خالف طريقة اللغويين

---

(٨) ابو عمرو احمد بن محمد بن علي الطلمنكي نشأ وتوفي في (طلمنكة) (سنة ٤٢٩) درّس في قرطبة التفسير والقراءات . انظر ابن فرحون ، الديباج المذهب (ط. القاهرة) ص ٣٩ ؛ ياقوت معجم البلدان ٥٤٣/٣ – ٥٤٤ .

(٩) مقدمة المخصص ص ٧ ، وقد نشر المخصص ببولاق في سبعة عشر سفرا تراوح ظهورها من سنة ١٣١٦ الى سنة ١٣٢١ وأشرف على طبعه الشيخ محمد عبده ، ومحمد محمود الشنقيطي مع مساعدة بعض المشايخ الآخرين .

السابقين الذين اخذ عنهم . فاذا ما حدثك عن النساء لا يكتفي بذكر المحاسن والمساوىء كما خلدها شعراء الجاهلية والاسلام ، بل يذكر ايضا فيما يذكره الحلي التي تستعملها النساء واسباب الزينة والتزيين التي تباشرها النساء ، وهو من اجل ذلك يمر على ذكر الهودج ويطوي امره طيا في بعض اسطر ليسهب فيما هو اقرب للحضارة والمدنية . ولا يخلو كتاب اللباس من فائدة في هذا الموضوع ففيه الحديث عن انواع الثياب خشنها وانيقها ، وعن انواع الاقمشة والفراء وعن الوان الحرير والقطن والكتاب وعن الستائر وخياطتها واصباغها .

وهو في حديثه عن المنازل لا يعير الخيمة واسبابها الا مادة قليلة وهذا شيء متعمد مقصود ليفيض في الحديث عن الآنية والطبخ وانواعه وما يتخذ من المواد الانشائية في بناء الدور .

ويعقد ابن سيده فصولا عدة عن الطبيعة (١٠) ولا يكتفي في هذه الفصول بالكلام على المظاهر الطبيعية ، بل يهتم ايضا بعمل الانسان في الطبيعة وتأثيره فيها ، فيزاوج بين ابواب الجبال والاودية والانهار وبين ابواب الآبار والاحواض والصهاريج وآلات السقي (١١) والقنوات (١٢) وانه ليمكننا ان نحصل على مادة لغوية صالحة في هذا المجال تهم المعنيين بهذا الاختصاص الذي هو اختصاص ما ندعوه اليوم بالجغرافي .

ولا ينسى هذا العالم الكفيف مسألة الزراعة واعداد الارض لها (١٣) وآلات الحرث (١٤) .

---

(١٠) المخصص ج ٩ ص ١ ، ج ١٠ ص ١٤٨ .
(١١) المصدر السابق ج ٩ ص ٦٣ .
(١٢) المصدر السابق ج ١٠ ص ٣٣ .
(١٣) المصدر السابق ج ١٠ ص ١٥٠ .
(١٤) المصدر السابق ج ١٠ ص ١٥٢ .

كما لا ينسى عند الكلام على النبات ما كان بريا منه وما يزرع . وطبيعي ان من جملة مصادره في هذا الباب كتاب النبات لابي حنيفة الدينوري (١٥) . ويتحدث عن النخيل فلا يكتفي بالمادة اللغوية التي جاءت في كتاب النخل للاصمعي (١٦) وانما يتعداها الى معلومات تتعلق بالنخيل ومنابته وكيف يزرع واحسن انواعه(١٧) وجميع هذا مادة علمية تخص العالم النباتي والعالم الجغرافي . وفي هذه الابواب يستطيع الباحث ان يستشف بداية انطلاق الفكر الجغرافي العربي قائما ومعتمدا على جهود اللغويين الاوائل كالاصمعي وابي عمرو بن العلاء وابن دريد وكثير غيرهم ممن ظهروا في اعقاب القرن الثاني الهجري .

ويتحدث عما ينبت بالرمال (١٨) الا انه لا يغفل الاصناف المختلفة للقمح والحبوب الاخرى (١٩) ، والاشجار المثمرة (٢٠) ولا سيما الكروم (٢١) ، وما يختص من النبات بالجبال او السهول او ضفاف الانهار (٢٢) ، وما يتخذ من النبات للاصباغ (٢٣) وما يتخذ

---

(١٥) ابو حنيفة الدينوري احمد بن داود المتوفى سنة ٢٨٢ هـ من اهل الدينور وهو من اللغويين النحويين ولكنه لم يقتصر على هذه المادة اللغوية فقد كان مفتنا في علوم كثيرة منها الهندسة والهيئة والحساب ويدل على ذلك كتبه الكثيرة ومنها : كتاب الانواء ، وكتاب حساب الدور ، وكتاب البحث في حساب الهند ، وكتاب البلدان ، وكتاب النبات ، وكتاب الكسوف . انظر الفهرست لابن النديم ص ٨٧ ، وانباه الرواة للقفطي ٤١/١ ومعجم الادباء لياقوت ٢٦/٣ .

(١٦) الاصمعي ، كتاب النخل تحقيق هافنر ونشره شيخو ضمن الكنز اللغوي (المطبعة الكاثوليكية بيروت) .

(١٧) المخصص ج ١١ ص ١٠٢ .

(١٨) المخصص ج ١١ ص ١٦١ .

(١٩) المصدر السابق ج ١١ ص ٥٧ .

(٢٠) المصدر السابق ج ١١ ص ١٣٨ .

(٢١) المصدر السابق ج ١١ ص ٦٥ .

(٢٢) المصدر السابق ج ١١ ص ١٤٠ .

(٢٣) المصدر السابق ج ١١ ص ٢٠٩ .

منه الصمغ (٢٤) . وفي جميع هذا حقل واسع يدخل فيه اكثر من اختصاص واحد فلا تعدم ان نجد للنباتي او المعني بالزراعة على وجه العموم مكانا نظير ما نجد للجغرافي المتخصص من مكان بارز . ومن الواضح ان مادة كهذه تبلغ من التصنيف والترتيب مستوى خاصا بحيث يتيسر فيها مادة الاصطلاحات الفنية العلمية لهي دليل على تطور الفكر الجغرافي عند العرب في فترة سبقت اولئك الجغرافيين المسلمين الذين تحدثوا عن « المسالك والممالك » و « البلدان » وما الى هـذا .

وقـد اخترت (مخصص ابـن سيدة) للكلام علـى موضوع « الفكر الجغرافي عند العرب » وذلك لان « المخصص » ليس معجم الالفاظ الصالحة للتعبير عن معاني الحضارة والتمدن فحسب ، بل هو ايضا معجم اللفظة الخاصة والمصطلح الفني ، لذا فهو اداة أهل العلوم ممن يتطلبون المصطلحات العديدة لتأدية اغراضهم . وهـذا يبدو في الصفحات المتعلقة بالطبيعة والجبال والصخور والسهـول والسراب والاودية والانهار والبحر والفلك والزمان والرياح والغيوم والامطـار (٢٥) .

كما يبدو في الابواب التي تتناول النبات (٢٦) وفي هذا الباب يجد النباتي محاولة لترتيب النبات حسب المكان او حسب دوام الورق وسقوطه وفي كل ذلك وصف دقيق للنبات (٢٧) ، ومصطلحات عديدة قد ضبطت معانيها على اتم ما تكون الدقة العلمية ، كما يجد المتخصص فيها مـا يصيب النباتات من آفـات وامراض ضبطت اسماؤها ووصفت اعراضها (٢٨) .

---

(٢٤) المصدر السابق ج ١١ ص ٢١٦ .
(٢٥) المصدر السابق ج ٩ ص ١ – ج ١٢ ص ٢٠ .
(٢٦) المصدر السابق ج ١٠ ص ١٤٨ – ج ١٢ ص ٢٠ .
(٢٧) انظر مقدمة المخصص .
(٢٨) المصدر السابق ج ١٠ ص ٢٠٦ – ج ١١ ص ٥٧ .

ولعل احسن مثال يدل على ثروة « المخصص » بالمصطلحات الابواب المخصصة للكروم (٢٩) حيث يتتبع المؤلف الكرم في نمـوه واختلاف طرق غرسه ، ويذكر العبارات الفنية المتعلقة به في مختلف اطواره وحالاته . وما يحمل من قضبان وما يصلح به من آلات وما يعالج بـه .

وفي هذه الابواب الخاصة بالنبات لا يرجع منها « الجغـرافي » خالي الوطاب فهي متصلة به ايضا ، وهي تدخل في مادته الجغرافية. وفي جميع هذا دليل على سير الفكر الجغرافي في تطوره وانتقاله من مرحلته البدائية في المواد الاولى التي ذكرها اللغويون الاقدمون كما بينّا الى هذه المرحلة التالية التي تقـوم علـى التصنيف والتبويب اعتمادا على الاستقـراء والاستنباط الشاملين لانك لا تجـد هذه الاجزاء التي تدخل ضمن الاطار الجغرافي او الطبيعي بصورة عـامة الا متفرقة في حشد من المراجع والمصادر ، ومـن هنا كانت قيمـة « المخصص » لابن سيده الاندلسي في كونـه معجما ضخما يتناول الوان الحضارة علومها وفنونها علـى نحو مـا ندعوه في هذا العصر بالمطولات الانسكلوبيدية .

واذا عرضنا لاي باب من الابواب التي أشرنا اليها وجدنا ثروة ضخمة لغوية تدل على فطنة دقيقة للمظاهر الطبيعية ، فأنت تقـرأ في (السحاب وانواعه) (٣٠) المادة اللغوية المتعلقـة بهذا الموضوع وهذه المادة تكشف عن فهم لمختلف صفات السحاب من حيث اطباقه وعدم اطباقه ومن حيث كونه ماطرا ام غير ماطر ومن حيث اشكاله وتركيبه فالدجن من السحاب هو اظلال السحاب الارض ، وعـن ابي حنيفة الدينوري : هو الباسه أمطر او لم يمطر ، والدجنة من الغيم المطبق تطبيقا .

---

(٢٩) المصدر السابق ج ١١ ص ٦٥ .
(٣٠) المصدر السابق ج ٩ ص ٩٣ .

والسحاب اول ما ينشأ يقال له : نشء فاذا عرض في الافـق سمي عارضا . والصبير السحابة البيضاء ، والقزع قطع متفرقة صفار . والكنهور قطع مثل الجبال . والسحب ذوات المطر الشديد تسمى المعصرات . أما سحاب الصيف الابيض فاسمه النفخ . فاذا كان الغيم رقيقا في جوانب السماء وليس بثبت سمي الطخر .

اما السديم فهو الكثيف من الضباب حتى كاد يكون غيما . واما الرهـل فالسحاب الرقيق شبيه بالندى يكـون في السماء ، والهزمة سحاب رقيق يعترض وليس فيه ماء .

أقول ربما ندر بين اللغات ان نجد مثل العربية في تصنيف هذه المعاني الطبيعية المختلفة التي تدل على فطنة لهذه المظاهر الطبيعية ، وادراك عام للكثير من الوان الطبيعة الجغرافية . انظر مثلا الى كلمة « الرباب » تجد انها تفيد السحاب المتعلق دون السحاب وقد يكون أبيض ويكون اسود . اما « الهيدب » الذي يتدلى ويدنو مثل هدب القطيفة . و « الغفارة » بكسر الغين السحابة تكون فوق السحابة .

وقد ادركوا بفطنتهم أن يكون السحاب ذا غيث ومن أمارات الغيث عندهم « الهالة » التي تكون حول القمر فان كانت كثيفـة مظلمة . كانت من دلائل المطر ولا سيما اذا كانت مضاعفة . ومـن دلائله الندأة والندأة وهي الحمرة التي تكون عند مغرب الشمس ايام الغيوث وبها جاءت اشعار العرب. قال الشاعر يصف سحابا :

لما اكفهر شريقي اللـوى وأوى ... الى تواليه مـن سفاره رفـق
تربص الليل حتى قـال شائمه ... على الرويشد او حرجائه يدق
حتى اذا المنظر الغربي حار دما ... من حمرة الشمس لما اغتالها الافق
ألقى على ذات أحفـار كلاكله ... وشب نيرانـه وانجـاب يأتلـق

وربما كان بسبب من حاجتهم الى المطر توسعوا في وصـف السحابة ذات المطر وطريقة هطول المطر ومدة دوامه ، ولكل مـن

هذه الاحوال اسماء معروفة شائعة عندهم فاذا قيل : الرهمة بكسر الراء وسكون الهاء فهو المطر الضعيف الدائم في حين ان « الديمة » المطر يدوم اليومين والثلاثة . ولهذا كانت نعوت المطر في القوة والكثرة شيئا لا نستطيع ان نأتي على ذكره الا في رسالة طويلة .

ولم تقتصر فطنتهم على المطر الذي يحتاجونه في بيئة مجدبة ماحلة فقد وصفوا السيول التي في الاودية وكيف تأتي وتجرف ما يكون امامها ، كما فطنوا الى حوادث الانجماد التي تحدث في الشتاء فيكثر فيها الثلج والبرد والصقيع .

وقد اهتموا بالمياه فوصفوها باسهاب عجيب من حيث كثرتها وقلتها وطعمها وما يصلح منها للشرب وما لا يصلح والعذب منها والمالح وما يتغير لونه ورائحته بسبب « الطحلب » وهي الخضرة التي تعلو الماء وهي انواع من الطفيليات التي تعيش في قعر الماء وعلى سطحه . فاذا غلظ « الطحلب » وكثر سمي عندهم « العرمض » وهو لون آخر من الوان الطحالب وهي خضرة تعلو سطح الماء .

والابواب التي تعالج المياه كثيرة جدا لا يمكن ان نأتي على حصرها في هذا الموجز ، ولكنه من المفيد ان نشير الى ان صاحب المخصص قد فطن الى علاقة الانسان بهذه الطبيعة وكيف حاول ان يستغلها ويحولها الى منافعه في نطاق حدوده البدائية الضيقة . ومن اجل هذا يفرد بابا للآلات التي يستقون بها والوسائل الاولى التي عمدوا اليها في استغلال الموارد المائية عندهم لايصال الماء الى الزرع ، فهو يذكر (الناعور) وهو معروف ثم يذكر الدالية ويحسن بنا ان نأتي على وصفه لهذه الاداة وطريقتها في ايصال الماء فيقول : الدالية جذع طويل يركب تركيب مداق الارز وفي رأسه مغرفة عظيمة مقيرة من خوص او بواري تأخذ ماء كثيرا ويجعل ما يلي

المفرفة من الجذع أقصر وهو هاديه ومقدمته بقدر ما يبلغ الماء اذا انحط ويجعل مؤخره اطول فيركبه الرجال مشيا عليه فاذا صاروا الى مؤخر الجذع ارتفع مقدمه فاذا أزّي بالازاء وهو مهـراق المفرفة كفأها رجل قائم على الازاء فمضى الماء في الجدول الى المزرعة ونزل الرجال عن الجذع فانحط هاديه الى الماء لانه أثقل مـن مؤخـره ثم يعود الرجال الى ركوب الجذع فهذا دأبهم .

وهكذا يمضي ابن سيده في ذكر الوسائل الاخرى التي يستقى بها الماء ثم يذكر (الدلو) وما يدخل في تركيبه من الرشاء والبكرة والحدائـد التي يخرج بها ما في البئـر وهي المخاطيف والعوالـق والكَلاّب والعودق وغيرها . وفي هذا ذكر لحبال الاستقاء التـي لا نستطيع ان نأتي عليها في هذا المختصر (٣١) .

ويتكلم على الانهار فيتكلم على أوديتها التي يجرى فيها الماء وما يدخل فيه من المصطلحات والاجزاء . وفي هذا الباب يتكلـم عن الترع والسواقي فالساقية التي تجرى الى جميع الحائط والمراد بالحائط المزرعـة ، تسمى الفلـج (بفتحتين) وجمعهـا فلجان . والشظي ما بين كل فلجين من فلجان الحرث ، و (القائد) اعظـم فلجان الحرث وهو يذكر ان اسم هذا عند أهل البصرة (الماذجويا) واغلب الظن انه من الدخيل الفارسي . والخلج هي التي تشعب من الفلج لتسقى الحائط والخليج الذي يسوق الماء الى الحائط .

ثم يطنب في وصف الانهار وشواطئها وضفافها وانواع الانهار والنعوت التي تقال فيها فيذكر من ذلك مثلا الجارور وهـو النهر الذي يشقه السيل (٣٢) .

ولا يفوت ابن سيده ان يذكر في المخصص في هذا الباب المياه

---

(٣١) المصدر السابق ج ٩ ص ١٣٠ .
(٣٢) المصدر السابق ج ١٠ ص ٢٩ .

الجوفية فيتحدث عن العيون والآبار ويسرف في وصف هذه الاخيرة كثيرا كما يذكر (القنى) وهو جمع (قناة) والمراد بها تلك التي تجري تحت الارض ويقال لفمها (الفقير) وجمعه (فقر) ومنه (النفق) وهو سرب في الارض مشتق الى موضع آخر ومنه ايضا الاردب وهو القناة في باطن الارض (٣٣) .

ويفرد بابا (للحياض) وانواعها وكيف تبنى كما يذكر الاجزاء التي تدخل في بناء الحوض وكيف يجمع الماء في (الحياض) ثم يتكلم في هذا الباب عن (المصانع) و (الاحباس) والمراد بالمصانع وهو جمع (مصنعة) او (مصنعة) بفتح النون او ضمها ما نسميه في عصرنا هذا بالخزانات وهي الصهاريج الكبيرة التي يخزن فيها الماء للافادة منه عند الحاجة اليه (٣٤) .

اما (الاحباس) فهو جمع (حبس) بكسر الحاء وهو ما ندعوه اليوم بالسدود اي الابنية التي تحبس الماء فيرتفع في جانب ليتصرف به كما يقتضي الامر . وفي هذا الباب يذكر جميع ما يدخل في اجزاء هذه المنشآت (٣٥) .

كما لا يفوته ان يذكر المياه الجبلية فيذكر (القلت) وهو كالنقرة في الجبل يستنقع فيها الماء ومن ذلك ايضا (الردهة) وهي النقرة في الجبل يستنقع فيها الماء (٣٦) .

ويتكلم عن الارض واسمائها ونواحيها وما يدخل في ذلك من مصطلح يفتقر اليه الجغرافي (٣٧) . ثم يتكلم عن الجبال ومسالكها واجزائها وقممها وشعبها فيأتي في كل ذلك على مادة لغوية ضخمة

---

(٣٣) المصدر السابق ج ١٠ ص ٣٣ .
(٣٤) المصدر السابق ج ١٠ ص ٤٩ .
(٣٥) المصدر السابق ج ١٠ ص ٥٣ .
(٣٦) المصدر السابق ج ١٠ ص ٥٤ .
(٣٧) المصدر السابق ج ١٠ ص ٦٧ .

لا يرجع منها الجفرافي خالي الوطاب (٣٨) .

ثم يتكلم على الارض المرتفعة مما هو دون الجبال ، والارض الغليظة من غير ارتفاع (٣٩) وفي ذلك مادة لغوية جغرافية ذات شأن عظيم .

ويتكلم عن الصخور والحجارة فيسهب كعادته في ذلك اي اسهاب والذي يهمنا من ذلك ما يذكره من (اسماء الحجارة التي مع الشجر والماء) ومن ذلك (النفل) بفتحتين وهي الحجارة التي ينبت معها الشجر . ومن ذلك ايضا (اتان الضحل) وهـو الصخرة بعضها غامر في الماء وبعضها ظاهر . ومنه (الجشر) وهـو حجارة تنبت في البحر (٤٠) .

ويتكلم على (الرمل) فيأتـي علـى طـرق الرمـال واجزائها ومنعطفاتها وما دق منه ومـا غلظ ويطنب في ذلـك بعض الاطناب ليخلص الى ما ينبت في الرمل من النبات والشجر فيذكر (العرفج) و (الارطى) و (العلقـي) ومـا الـى هـذا ممـا ينبت في البيئة الصحراوية (٤١) .

ثم يختم هذا الجزء بأبواب تتعلق بالغرس والمزروعات وهـي مادة ضخمة يفيد منها العالم النباتي كما يفيد منها الجغرافي .

ويبدو من هـذا العرض الموجـز كيف ان علمـاء العربية قد شاركوا في البحث العلمي في مراحله الاولى وينجم عـن هـذا اننا نستطيع ان نلمح بداية الفكر الجغرافي عند العرب الاقدمين قبل مرحلة التأليف الاختصاصي المتمثل في طائفة البلدانيين كما بينا .

---

(٣٨) المصدر السابق ج ١٠ ص ٧٠ .
(٣٩) المصدر السابق ج ١٠ ص ٨٥ .
(٤٠) المصدر السابق ج ١٠ ص ٩٧ .
(٤١) المصدر السابق ج ١٠ ص ١٣٤ .

لغة الصحافة

بدأ الغرب يقترب من الشرق العربي في مطلع هـذا القرن . وكان الناس قبل ذلك في معزل عن هذه الحضارة الوافدة وفي مأمن من هذا الغزو الذي جر عليهم الوبال ، غير ان الغزو لـم يقتصر على الميدان السياسي فحسب ، بل تعدى ذلك الى غيره مـن الميادين ، فقد اخذ هذا الشرق العربي ـ رضي ام كره ـ بهذه الحضارة التي تعتمد في جوانب عدة منها على الخير ، فهـي ليست شرا يتعافاه الناس ابدا .

وكان من نتيجة هذه الحضارة ان تأثر العربي وهو فـي بيئته بها ، تأثر في افكاره وتأثر في طريقة عيشه ، وتأثر في جوانب كثيرة من جوانب حياته اليومية وصار العربي يقرأ ثمرات الفكر الاوروبي في اللغات التي كتبت بها . وكان من جراء ذلك ان اللغة العربية الحديثـة استفادت شيئـا جديدا او قـل اشيـاء جديدة ، اقول « استفادت » بمعناها الواسع الشامل ، فقد جدت فيهـا أساليب كثيرة لم تكن الا وليدة الترجمة . كانت هذه الاساليب غريبة عـن العربية ، فهي بنت ظروف واحوال اجتماعية لم توجد في هـذا الشرق العربي .غير ان العربية وهي السمحة السهلة الطيعة لـم تتنكر لهذه الاساليب فقد قبلها الاستعمال ، وراضها حتى يوهم القارىء وهو يقـرأ صحيفته اليومية او مجلته الجديدة ان الذي

يقرؤه عربي اصيل لم يتخط اليه الدخيل الجديد . ولم يقتصر الامر على القارىء الذي لا يعنيه امر العربية واطوارها ، وموضوع اللغات واسرارها ، بل خفي ذلك على الفطن اللبيب المختص ، فقد تجاوزت هذه الاساليب لغة الصحف السائرة الى المقالة الادبية الحديثة .

ولتوضيح مـا ذهبنا اليه سنستوفي ما امكن استيفاؤه من هذه الاساليب ليقف عليهـا القارىء ويـرى ويحكم علـى العربية وقدرتها على النماء والتوسع ، وعلى قدر ما تأثرت به سلبا وايجابا، اقول « سلبا وايجابا » ، لان طائفة من هذه الاساليب لم تفد منها العربية غنى وثراء لغويا ، فقد ترجمت وحشرت في العربية ، وكان سبب ذلك كله جهل من تصدى للترجمة بأصول العربية وفنون القول فيها فلم يتيسر لهم نقل الافكار الغربية بأسلوب عربي . ولو عرف هؤلاء بلاغة العرب وتبينوا أسرارها لما اندست فـي العربية اساليب غريبـة عنهـا بحيث لا تعـد مـن طائفـة المصطلح الفني « Terme Technique » الذي نجتهد في توفيره ليكون من مواد هذه العربية الجديدة .

ولا ضير على العربية من دخول طائفة من هذه الاساليب ، بل ربما افادت منها واثرت ونمت، وقد علمنا ان لغتنا قبلت من الدخيل الغريب شيئا كثيرا على مر العصور . ومن صفات اللغة الحية ان تقبـل مـن غيرهـا فتزدهر وتنمـو . واذا علمنـا ان اللغة ظاهرة اجتماعية ، فقد قبلنا انها متطورة متجددة يؤثر فيها الزمان والمكان، وقد خضعت العربية لسنة التطور فتنوعت اساليبها ، فمـاتت فيها ألفاظ وجدت اخرى . ودونك الكثير من ألفاظ الشعر الجاهلي التي أصبحت « متحجرات لغوية » ان جاز هذا التعبير ، مما لا نجده في لغة القرآن والحديث ولغة الادب في العصور المتقدمة . وقد بدا لبعضهم ان العربية اعتمدت على المجاز والاستعارة والكناية ، وهـي وسائل زادت مـن موادها . فلِم لا تكـون طـائفة كبيرة من

الاساليب الحديثة التي دخلت في لغة الصحف اليومية ولغة الكتابة السائرة مترجمة دخيلة وكيف لا تكون عربية وقد افادت من طرائق المجاز والاستعارة ؟

أقول ردا على هذه الاستفهامات : ان المجاز والاستعارة والكناية من الوسائل التي امدت العربية بأساليب كثيرة وافادت منها فائدة عظيمة . بحيث لم نستطع الان ان نحصي هذه الاساليب او ان نتبينها ، ذلك بأن جزءا كبيرا من هذه المجازات صار ملتبسا بالحقيقة او كأنه استعمال حقيقي لشيوعه وذيوعه ، ولان الاستعمال الحقيقي الاصيل قد نسي فامحى اثره ولم يبق له أثر .

على ان هذه الوسائل وهي المجاز والاستعارة والكناية لم تكن مقصورة على العربية فهي في كل اللغات ، واللغات مختلفة فيها ، فقد نجد استعمالا مجازيا في لغة مؤديا معنى من المعاني يختلف عن مجاز آخر في لغة اخرى يؤدي المعنى نفسه . وعلى هذا فالمجازات التي ذكرناها في هذا المبحث واعتبرت من الدخيل الطارىء في العربية هي من هذا الباب ، أي مما لم تألفه العربية في اساليبها فهي مترجمات من لغة اخرى (١) . وعمر هذه الاساليب لا يتجاوز النصف الاول من القرن الماضي .

وسواء رضينا أم لم نرض فقد اندس هذا الدخيل الوافد فتعرب . ولا بأس من ذلك كما اسلفنا ، ذلك ان طائفة كبيرة منها مما تدعو اليها الضرورة ، وان الفاظها عربية فصيحة ، وان باب التوسع والمجاز بعد كل ذلك مفتوح . ودونك شيئا من مقررات المجمع اللغوي المصري في هذا الموضوع : (فالباب مفتوح للاساليب

---

(١) هذه الاساليب الصحفية تمد العربية بمادة جديدة ولذلك فان لغة الصحافة مادة مهمة في التطور اللغوي وفي قيام « عربية جديدة » وان توكأت كثيرا على لغات الاعاجم الاوربيين . وقد تنبه اللغويون في مطلع هذا القرن الى هذه اللغة فنبذوها وعدوها من اللغات المرذولة غير الفصيحة جهلا بعلم اللغة الحديث Linguistique

الاعجمية تدخله بسلام ، اذ ليس في هذه الاساليب كلمة اعجمية ولا تركيب اعجمي ، وانما هي كلمات عربيـة محضة ، ركبت تركيبا خالصا ، لكنها تفيد معنى لم يسبق لاهل اللسان ان افاده بتلك الكلمات) (٢) .

وعلى هذا فلا ينبغي ان يفهم القارىء اني في معرض تخطئة الكتاب ، او انني من اولئك الذين يبغون الحفاظ على العتيق البالي، ولكني اسجل هذه الاساليب اخذا بالمنهج العلمي وخدمة للعربية واظهـارا للاطوار التـي تجتازها الكلمة عبـر العصور ومـا يجـد ويستحدث فيها .

وانا اعرض الان من هذه الاساليب ما انتهى اليه استقرائي لنصوص العربية الحديثة كما هـي مثبتة فـي الصحف والمجلات والكتب الحديثة :

استعمال الفعل (عاد) في تركيب لم يعرف في العربية ، وانما حدث ذلك عن طريق الترجمة كأن نقول : (لم يعد فلان قادرا) وهذا ترجمة لاستعمال اوروبي كما في الفرنسية : Il n'est plus capable.

ونقول : يبكي فلان بكاءا مرا . وهو من

« Il pleure amèrement. »

وما دمنا بصدد البكاء فلا بد ان نشير الى الجملة الآتية والتي تتـردد في الصحف والكتابات الحديثة وهـي : هـو يبكـي بدموع التماسيح (٣) . ومعناها معروف ، وهي من التعبير الفرنسي :

Il pleure aux Larmes de crocodile.

---

(٢) مجلة المجمع اللغوي المصري ج ١ ص ٣٣٢ .

(٣) من المفيد ان نشير الى ان شيئا من هذا التعبير قد جاء في ارجوزة ابن المعتز في البيت الذي نثبته ، غير اننا لا بد ان نؤكد ان التعبير الشائع لم يكن عربي الاصل كما استعمل عند ابن المعتز ، وانما جاء عن طريق الترجمة من اللغات الاوربية . البيت : ثم بكوا من بعده وناحوا كذبا كذاك يفعل التمساح

وفي الانكليزية : To ched crocodilsé tears·

ونقول : ابتسامة هادئة ، وهذا من الفرنسية :

· « Sourire Calme »

وفي الانكليزية : · « Calm Smile »

ونقول : هو يمثل الرأي العام (٤) ، وهو من قولهم في الفرنسية : « Il représente L'opinion publique· »

وفي الانكليزية : « He represents public opinion· »

ونقول : هو يسهر على المصلحة العامة ، وهذا من

Il veille sur le bien commun·

ونقول : هذه القضية مطروحة على بساط البحث ، وهذا كما في العبارة الفرنسية : Cette cause est mise sur le tapis·

ونقول : ذر الرماد في العيون ، وهو في الفرنسية :

Il jette de la poudre aux yeux·

وفي الانكليزية : To throw dust in the eye·

ونقول : لقتل الوقت ، وهو في الفرنسية :

pour tuer le temps·

وفي الانكليزية : To kill the time·

ونقول : هو يلعب دوره ، وهو في الفرنسية :

Il joue son rôle·

وفي الانكليزية : He plays his part·

ونقول : بدوره ، وهو في الفرنسية : à son tour·

---

(٤) تحميل كلمة (الرأي العام) هذا المعنى هو من الباب الذي نسجله في هذه الصفحات ، وكذلك استعمال الفعل (مثّل) هذا الاستعمال ، داخل في هذا الباب ايضا .

وفي الانكليزية : In his turn·

ونقول : اعطى وعدا ، وهو في الفرنسية :

Il a donné rendez - vous·

وفي الانكليزية : To give a promise·

ونقول : هو اعطى صوته ، وهو في الفرنسية :

Il a donné sa voix·

وفي الانكليزية : To give one's vote to·

ونقول : هو يكسب بعرق جبينه ، وهو في الفرنسية :

Il gagne à la sueur de son front·

ونقول : هو مع رفيقه على قدم المساواة ، وهو في الفرنسية :

Il est sur pied d'égalité avec son ami :

وفي الانكليزية : He is on equal footing with his friend·

ونقول : حجر عثرة ، وهو في الفرنسية :

Pierre d'achoppement·

وفي الانكليزية : A stumbing block·

ونقول : لعب ورقته الاخيرة ، وهو في الفرنسية :

Il a joué sa dernière carte·

وفي الانكليزية : He played his last card·

ونقول : اعطاه ورقة بيضاء ، وهو في الفرنسية :

Il lui a donné une carte blanche·

وفي الانكليزية : To give a blank cheque·

ونقول : هو يلعب بالنار ، وهو في الفرنسية :

Il joue avec le feu·

وفي الانكليزية : To play with fire·

ونقول : هو يصطاد في الماء العكر ، وهو في الفرنسية :

Il pêche en eau trouble·

وفي الانكليزية : To fish in troubled water.

ونقول : على شرف فلان ، وهو في الفرنسية :

En son honneur.

وفي الانكليزية : On his honour.

ونقول : توترت العلاقات ، وهو في الفرنسية :

Les rapports sont tendus.

وفي الانكليزية : Strained relations.

ونقول : ضحكة صفراء ، او ابتسامة صفراء ، وهو في الفرنسية : Rire jaune.

ونقول : كرس (٥) حياته ، وهو في الفرنسية :

Il a consacré sa vie.

وفي الانكليزية : To sacrifice one's life.

ونقول : المصائب محك الصداقة ، وهو في الفرنسية :

Les malheurs sont la pierre de touche de l'amité.

ونقول : نزولا عند رغبته ، وهو في الفرنسية :

Cédant à son désir.

وفي الانكليزية : At his own request.

ونقول : الضرورة الملحة ، وهو في الفرنسية :

Necessité insistante.

وفي الانكليزية : Insisting needs.

ونقول : بكل معنى الكلمة ، وهو في الفرنسية :

Dans tout le sens du mot.

وفي الانكليزية : In the full sens of the word.

ونقول : وضع النقاط على الحروف ، وهو في الفرنسية :

Il a mis les points sur lesi.

---

(٥) الفعل كرس من الالفاظ المسيحية الكنسية وهو من اصل سرياني آرامي ، على ان التركيب كله دخيل في العربية وهو مترجم عن العبارة الفرنسية .

ونقول : اجاب بالحرف الواحد ، وهو في الفرنسية :

Il a répondu à la lettre.

ونقول : الاوساط (٦) المطلعة ، وهو في الفرنسية :

Les milieux les bien informés.

وفي الانكليزية : Well-informed quarters.

ونقول : الاوساط الجديرة بالثقة ، وهو في الفرنسية :

Les milieux dignes de foi.

وفي الانكليزية : Trust worthly circles.

ونقول : الدوائر العليا ، وهو في الفرنسية :

Les hauts cercles.

وفي الانكليزية : The higher circles.

ونقول : دفع الثمن غاليا (بالاستعمال المجازي بمعنى لقي الصعاب من جراء امر من الامور ، او عمل من غير تفكير) ، وهو في الفرنسية :

Il a payé cher.

وفي الانكليزية : He paid dear.

ونقول : ركز (٧) البحث على نقاط معينة ، وهو في الفرنسية :

Il a concentré sa recherche sur certains points.

وفي الانكليزية : He concentrated on certain points.

ونقول : أكد على (٨) نقاط معينة ، وهو في الفرنسية :

Il a insisté sur certains points.

وفي الانكليزية : He emphasized certain points.

---

(٦) ان من يترجم العبارة الاجنبية باستعمال (المحافل المطلعة) يكون الصق بالعربية وفصاحتها ، لان الاوساط جمع وسط ، ولم يعرف عن الوسط في العربية هذا الانتقال المجازي .

(٧) التركيز بهذا المعنى دخيل استعمله المشتغلون بالكيمياء .

(٨) تعدية الفعل (اكّد) بعلى بسبب التركيب الاجنبي ، فالفعل الاجنبي في هذا المعنى يتعدى بهذا الحرف ، والصواب ان الفعل العربي يتعدى بنفسه .

ونقول : اثر عليه (٩) ، وهو في الفرنسية :

Influer sur lui·

ونقول : يبلور الفكرة ، وهو في الفرنسية :

Il cristallise son idée·

ونقول : يسمم الرأي العام ، وهو في الفرنسية :

Il empoisonne l'opinion publique·

وفي الانكليزية :

To poison the public opinion·

ونقول : خنق الحريات ، وهو في الفرنسية :

Etranglement de libertés·

وفي الانكليزية :

To strangle the liberties·

ونقول : الضمير العالمي ، وهو في الفرنسية :

La conscience mondiale ·

وفي الانكليزية :

The world conscience·

ونقول : مؤتمر المائدة المستديرة ، وهو في الفرنسية :

Congrès de table ronde·

وفي الانكليزية :

Rond table conference·

ونقول : طبقه على مقياس واسع ، وهو في الفرنسية :

Il l'a pratiqué en large mesure·

وفي الانكليزية :

He applied it on a wider scale·

ونقول : هو يعمل في اطار ضيق ، وهو في الفرنسية :

Il travaille dans un cadre trés restreint·

وفي الانكليزية :

He works in a narrow circle·

---

(٩) وتعدية الفعل (اثّر) بعلى بسبب نظيره الفعل الاجنبي الذي يتعدى بعلي ، اما الفعل العربي فالفصيح ان يتعدى بحرف الجر (في) .

ونقول : اطارات الجيش (١٠) ، وهو في الفرنسية :

Les cadres de l'armée.

ونقول : العين المجردة ، وهو في الفرنسية Un œil nu.

وفي الانكليزية : Naked eye.

ونقول : ان لم تخني الذاكرة ، وهو في الفرنسية :

Si la mémoire ne m'a pas trahi.

ونقول : حرق البخور (١١) لسيده ، وهو في الفرنسية :

Il a brûlé de l'encens pour son maître.

وفي الانكليزية : He burnt the incense for his sir.

ونقول : الاكثرية الساحقة (١٢) ، وهو في الفرنسية :

La majorité écrasante.

وفي الانكليزية : Over whelming majority.

ونقول : على هامش السياسة (١٣) ، وهو في الفرنسية :

En marge de la politique.

وفي الانكليزية : On the margin of the policy.

ونقول : التراب الوطني (١٤) ، وهو في الفرنسية :

Le territoire national.

وفي الانكليزية : National territory, dominion.

---

(١٠) دلالة الاطار في العربية معروفة ، ولم يستعمل هذا الاستعمال المجازي ، واستعماله هذا على طريقة المجاز نقل للاستعمال الفرنسي الذي اشرنا اليه . ومن اجل كثر هذا الاستعمال في الصحف العربية في الشمالي الافريقي بصورة خاصة ، اما اهل الشرق العربي فيستعملون في هذا المقام الفاظا عربية مثل (الملاك ، والتنظيمات وما اشبه ذلك) وربما وجدنا لفظة (الكوادر) مستعملة على صورة الجمع للكلمة الاجنبية ، كما يحدث في الصحف اللبنانية والمصرية .

(١١) تعبير ذو أصل ديني مسيحي متصل بالبخور الذي يحرق في الكنائس .

(١٢) تعبير متصل بالتقاليد (البرلمانية) .

(١٣) الهامش كلمة دخيلة قديمة ولكنها لم تستعمل هذا الاستعمال المجازي .

(١٤) تعبير شائع في العربية في الشمالي الافريقي .

ونقول : جرح شعوره ، وهو في الفرنسية :

Il a blessé son amour-propre

وفي الانكليزية : He hurt his feeling·

ونقول : اخذ بنظر الاعتبار ، وهو في الفرنسية :

Il a pris en considération·

وفي الانكليزية : He took in to consideration·

ونقول : اخذ مكانه بين رفاقه ، وهو في الفرنسية :

Il a pris sa place parmi ses camarades·

وفي الانكليزية : He took his seat between his comrades·

ونقول : التيارات الادبية ، وهو في الفرنسية :

Les courants littéraires·

وفي الانكليزية : The literary currents·

ونقول : مع الاسف ، وهو في الفرنسية :

Avec mes regrets·

وفي الانكليزية : With regrets·

ونقول : مع تمنياتي ، وهو في الفرنسية :

Avec mes souhuits·

وفي الانكليزية : With my best wishes·

ونقول : النجاحات (١٥) جمعا لنجاح ، ونشاطات جمعا لنشاط وهذه شائعة في الفرنسية :

Succés, activités·

وفي الانكليزية : Successes , activities·

---

(١٥) أجاز الاقدمون جمع المصدر اذا أفاد النوعية المختلفة ، واذا انتقل من الحدث الى الاسمية . كما نجده في مقررات المجمع اللغوي في القاهرة ، وهو منشور في مجلة المجمع العلمي بدمشق الجزء الخاص بمؤتمر المجامع العلمية اللغوية لسنة ١٩٥٧ .

ونقول : اتبعوا سياسة القاء القفاز (١٦) ، وهو في الفرنسية :
Ils ont pratiqué la politique de mettre les gants.

وفي الانكليزية :
They practised the policy of throwing down the gauntlet.

ونقول : على حساب الرأي العام ، وهو في الفرنسية :
Sur le compte de l'opinion publique.

وفي الانكليزية :
At the expense of public opinion.

ونقول : الحياة الادبية (١٧) ، وهو في الفرنسية :
La vie littéraire.

وفي الانكليزية :
The literary life.

ونقول : يشل الاعمال ، وهو في الفرنسية :
Il paralyse les affaires.

ونقول : ضرب الرقم القياسي او كسره ، وهو في الفرنسية :
Il a battu le record.

وفي الانكليزية :
He beats the record.

ونقول : اعمال الكاتب الكاملة (١٨) ، وهو في الفرنسية :
Les œuvres complètes de l'écrivain.

وفي الانكليزية :
The complete works of the writer.

ونقول : لا يرقى اليه الشك ، وهو في الفرنسية :
Le doute ne remonte à lui.

ونقول : تحت تأثير ، وهو في الفرنسية :
Il est sous l'influence.

وفي الانكليزية :
It is under the influence.

---

(١٦) تعبير يتصل بالبيئة التي استخدم فيها وهي البيئة الرياضية .

(١٧) تعبير شائع في الصحف والمجلات في عصرنا الحاضر حتى خيل للمهتمين بمسائل اللغة انه تعبير عربي في الاصل ، وليس الامر كذلك .

(١٨) لم يعرف في العربية هذا الاسلوب وانما يقال مؤلفاته او كتبه او آثاره او مصنفاته .

ونقول : البرج العاجي (١٩) ، وهو في الفرنسية :

La tour d'ivoire·

وفي الانكليزية : Ivory tower·

ونقول : يلقي ضوءا على هذه المسألة ، وهو في الفرنسية :

Il jette une lumière·

وفي الانكليزية : To throw light on·

ونقول : على ضوء الاحداث ، وهو في الفرنسية :

A la lumière des événements·

وفي الانكليزية : At the light of the events·

ونقول : يلقي نظرة ، وهو في الفرنسية :

Il jette un coup d'œil·

ونقول : يمر بتجربة قاسية (٢٠) ، وهو في الفرنسية :

Il passe une épreuve dure·

وفي الانكليزية : He passes through difficulties·

ونقول : عاش التجربة ، وهو في الفرنسية :

Il a vecu l'épreuve·

ونقول : ولنقلب صفحة (٢١) ، وهو في الفرنسية :

Qu'on tourne la page·

وفي الانكليزية : Turn a new page·

ونقول : المعطيات (٢٢) ، وهو ترجمة للكلمة :

Les données·

---

(١٩) والفصيح ان يقال : البرج العاج .

(٢٠) تحميل التجربة معنى الحادثة او المحنة دخيل اجنبي ، وهو من باب التضمين في اللغة .

(٢١) الاسلوب اجنبي ، ولعل ما يقابله في الاساليب العربية قولهم : ولنضرب صفحا .

(٢٢) يراد بالكلمة الفرنسية الافكار والمعاني ، اما (المعطيات) فهي من ابتداعات السوريين واللبنانيين .

ونقول : هو خارج امكانياتي ، وهو في الفرنسية :

Il est en dehors de mes possibilités.

ونقول : الشخصية (٣٢) ونريد بها صاحب الشخصية رجلا او امرأة ، وهو في الفرنسية :

Personnalité.

وتقول : الشخصية البارزة ، وهو في الفرنسية :

Personnalité marquante.

وفي الانكليزية :

A marked personality.

ونقول : يعلق اهمية خاصة ، وهو في الفرنسية :

Il attache une certaine importance.

وفي الانكليزية :

To attach importance.

ونقول : يعلق املا كبيرا ، وهو في الفرنسية :

Il attache une grande espoir.

وفي الانكليزية :

To attach great hope.

ونقول : اجاب في شيء من الدهشة ، وهو في الفرنسية :

Il a répondu avec un peu d'étonnement.

ونقول : وهو يجذب الانتباه ، وهو في الفرنسية :

Il tire l'attention.

وفي الانكليزية :

It attracts attention.

ونقول : هو يعكس الحالة الاجتماعية ، وهو في الفرنسية :

Il reflète la situation sociale.

وفي الانكليزية :

It reflects the social background.

ونقول : الجنس اللطيف ، وهو في الفرنسية :

Le beau sexe.

وفي الانكليزية :

The fair sex.

---

(٣٢) تدل الشخصية على الحالة او الهيئة التي يكون فيها الشخص ، وهي من اصطلاحات علم النفس ، ولهـا مدلول فلسفي ، والمصدر الصناعي مفيد فـي باب المصطلحات العلمية .

ونقول : وجهات النظر (٢٤) ، وهو في الفرنسية :

Les points de vue.

وفي الانكليزية : The points of view.

ونقول : اعرني اذنيك ، وهو في الفرنسية :

Prêtez-moi les oreilles.

وفي الانكليزية : Lend me your ears.

ونقول : غطاء النفقات ، وهو في الفرنسية :

La couverture de frais .

وفي الانكليزية : To cover the expenses.

ونقول : الجهاز الحكومي ، وهو في الفرنسية :

L'organe gouvernemental.

وفي الانكليزية : The official organ.

ونقول : الماكنة الحكومية ، وهو في الفرنسية :

La machine gouvernementale.

ونقول : يحمل على الاعتقاد ، وهو في الفرنسية :

Il porte à croire.

ونقول : هو ينظر من زاوية ، وهو في الفرنسية :

Il voit d'un coin.

وفي الانكليزية : He looks from one angle.

ونقول : حجر الزاوية ، وهو في الفرنسية :

La pierre angulaire.

وفي الانكليزية : Corner stone.

ونقول : يحتضن الفكرة ، وهو في الفرنسية :

Il couve l'idée.

---

(٢٤) دلالة (وجهات النظر) على الراي والفكرة والنظر العقلي غير عربية اصيلة وانما دخلت العربية عن طريق الترجمة كما بينا .

ونقول : يتبنى الفكرة ، وهو في الفرنسية :

Il adopte l'idée·

وفي الانكليزية :

He adopts the idea·

ونقول : اعتنق الفكرة (٢٥) ، وهو في الفرنسية :

Il a embrassé l'idée·

وفي الانكليزية :

He embraced the idea·

ونكرر الظرف الشرطي (كلما) في استعمالنا فنقول : كلما عمل كلما ربح (٢٦) ، وهو في الفرنسية :

Plus il travaille, plus il gagne·

وفي الانكليزية :

The more he works, the more he earns·

ونقول : تناول الكلمة ، وهو في الفرنسية :

Il a pris la parole·

ونقول : اعطى الكلمة ، وهو في الفرنسية :

Il a donné la parole·

وفي الانكليزية :

He gave a speech·

ونقول : عنده حق ، وهو في الفرنسية :

Il a raison·

وفي الانكليزية :

He has the right·

ونقول : سابقة خطرة ، وهو في الفرنسية :

Précédent dangereux·

وفي الانكليزية :

A dangerous precedent·

ونقول : ازمة نفسية ، وهو في الفرنسية :

Crise psychologique·

وفي الانكليزية :

Psychological crisis·

---

(٢٥) وفي العربية شيء ربما اشبه هذا ، فقد ذكر الزمخشري في اساس البلاغة ما نصه : واعتنق الامر لزمه . انظر مادة (ع ن ق) .

(٢٦) نبه اللغويون على هذا الخطأ فقل وروده ، على انه ما زال موجودا في لغة الجرائد .

ونقول : بوصفه او بصفته ، وهو في الفرنسية :

En sa qualité·

وفي الانكليزية :

In his capacity·

ونقول : هو جاهل لغاية ان يكون بدائيا ، وهو في الفرنسية :

Il est ignorant à tel point qu'il est primitif·

ونقول : حمامة السلام ، وهو في الفرنسية :

La colombe de paix·

ونقول : واذا ارتقينا (او صعدنا او ارتفعنا) الى القرن الخامس قبل الميلاد ، وهو في الفرنسية :

Si nous remontons au cinquième siècle avant J·C·

ونقول : يهضم الافكار ، وهو في الفرنسية :

Il digère les idées·

وفي الانكليزية :

To digest ideas·

ونقول هو مرن (٢٧) ، وهو في الفرنسية :

Il est souple ou flexible·

وفي الانكليزية :

He is flexible·

ونقول : هو موضوع على طاولة البحث (٢٨) ، وهو في الفرنسية :

Il est mis sur la table de travail·

ونقول : الانواع الادبية (٢٩) ، وهو في الفرنسية :

Les genres littéraires·

ونقول : عاصفة من التصفيق ، وهو في الفرنسية :

Une tempête d'applaudissement·

وفي الانكليزية :

A storm of applause·

---

(٢٧) لم يعرف هذا الاستعمال المجازي في العربية ، وانما يعبر عن ذلك بعبارات اخرى كأن يقال : هو لين أو طيع أو ما في هذا المعنى .

(٢٨) الطاولة دخيلة وهي تعريب .

(٢٩) تعبير جديد مترجم ، وربما قيل في العربية : الفنون الادبية .

ونقول : نقطة انطلاق ، وهو في الفرنسية :

Le point de départ.

وفي الانكليزية : Point of departure.

ونقول : طلب يدها : وهو في الفرنسية :

Il a demandé sa main.

وفي الانكليزية : To ask the hand of.

ونقول : اصلاح جذري ، وهو في الفرنسية :

Réforme radicale.

وفي الانكليزية : Radical reform.

ونقول : تمتد جذور المسألة ، وهو في الفرنسية :

Les racines de la question étendent.

وفي الانكليزية : The roots of the problem go deep.

ونقول : وموقفه امام (٣٠) هذه القضية ، وهو في الفرنسية :

Sa position Vis - à - vis de cette question.

ونقول : وهذه القضية من طرف (٣١) السلطات الحاكمة ، وهو في الفرنسية :

Ce problème est de la part du gouvernemnte...

ونقول : تبادلا الشتائم (٢٣) ، وهو في الفرنسية :

Ils ont échangé les injures.

ونقول : تبادلا التحيات ، وهو في الفرنسية :

Il sont échangé les salutations.

وفي الانكليزية : They exchanged greetings.

---

(٣٠) يقال في الاسلوب الفصيح : ازاء بدلا من امام ، لان الامام ما كان في المقدمة ومنه سمى الامام أي الذي يأتم الناس به .

(٣١) هذا التعبير شائع في بلدان الشمالي الافريقي .

(٣٢) يقال مثل هذا في الاسلوب الصحيح : تكايلا الشتائم .

ونقول : تحت الدرس ، وهو في الفرنسية :

Il est sous l'étude.

وفي الانكليزية :

It is under study.

ونقول : يسهر على المصلحة العامة ، وهو في الفرنسية :

Il veille sur le bien commun.

ونقول : لا جديد تحت الشمس ، وهو في الفرنسية :

Rien de nouveau sous le soleil.

وفي الانكليزية :

Nothing new under the sun.

ونقول : هو رجل الساعة ، وهو في الفرنسية :

Il est l'homme de l'heure.

وفي الانكليزية :

The man of hour.

ونقول : كلمه بطرف شفتيه (٣٣) ، وهو في الفرنسية :

Il lui a parlé du bout des lévres.

ونقول : الى الملتقى ، وهو في الفرنسية :

Au revoir.

ونقول : الى الغد ، وهو في الفرنسية :

A demain.

ونقول : شرب على صحته ، وهو في الفرنسية :

Il a bu à sa santé.

وفي الانكليزية :

He drank to his health.

ونقول : مسألة بسيطة (٣٤) ، وهو في الفرنسية :

Une question simple.

وفي الانكليزية :

A simple question.

ونقول : مسألة سطحية (٣٥) ، وهو في الفرنسية :

Une question superficielle.

---

(٣٣) كناية عن الزراية به .

(٣٤) شاع الوصف بالبساطة في العربية ، وهو أسلوب مترجم .

(٣٥) والوصف بـ (سطحية) أسلوب مترجم ايضا للدلالة على ان المسالة ليست متعمقـة .

ونقول : تصفية القضية الفلسطينية ، وهو في الفرنسية :
La liquidation de la question palestinienne.

وفي الانكليزية :
The liquidation of the Palestinian question.

ونقول : تحت رعاية ، وهو في الفرنسية :
Sous l'égide ou le haut patronage.

وفي الانكليزية : Under the patronage of.

ونقول : هو متأثر الى درجة انه فاقد اعصابه (٣٦) ، وهو في الفرنسية :
Il était ému jusqu'à ce qu'il ait perdu ses nerfs.

وفي الانكليزية :
He was so excited that he lost his self-control.

ونقول : الجيل الصاعد ، وهو في الفرنسية :
La génération montante.

وفي الانكليزية : The rising generation.

ونقول : يضحك على الذقون ، وهو في الفرنسية :
Il rit dans sa barbe.

ونقول : الوان صارخة ، وهو في الفرنسية :
Des couleurs criardes.

ونقول : نقد مر ، وهو في الفرنسية : Critique amère.

وفي الانكليزية : Bitter criticism.

هذه نماذج قد تفتقر الى الاستيفاء ولكنها مواد مهمة نستضيء بها على سير التطور العلمي لهذه اللغة الحية التي بزت اخواتها من اللغات السامية . وربما عدت الى الموضوع نفسه لاتبين الجديد الفني الذي امد البلاغة العربية الجديدة بشيء لم تعرفه من ذي قبل .

---

(٣٦) التعبير (الى درجة) ، وكذلك التعبير (فقدان الاعصاب) كلاهما مترجم كما بينا .

ما حفظته العامية من الفصيح المنسي

قد تكون العربية بدعا بين اللغات الحية في عصرنا في انهـا لم تدرس دراسة تاريخية . ربما يقول قائل ان علماء الساميات قـد عرضوا للعربية في دراساتهم التي تناولت مجموعة اللغات السامية وفي خلال هذه الدراسات نالت العربية القسط الاوفى من عنايتهم . اقول مـا زال في العربية شـيء خاص بهـا ينبغـي ان يتفـرغ له الباحثون في نهج علمي تاريخي . ان النهج التاريخي يفرض علـى الدارسين ان ينظروا الى تطور الدلالة في سيرها التطوري . وفـي هذه المسيرة اللغوية تبرز الالفاظ حية متصلة بالزمان والمكان اتصالا حضاريا . ومن هنـا كان العالم اللغوي ذا نظر اجتماعي يعقد الصلة بين الناس والركب الحضاري في مسيرته الطويلة المتطورة الحية .

وقد بدا لي ان اؤرخ للالفاظ فاعرض لناحية تتصل بفصيح العربية وما يعرض لطائفة من هذا الفصيح ، فقد تبتعد الكلمة عـن اللغة الفصيحة فيعزف عنها اهل الاستعمال وتستقر فـي اللغـات الدارجة حتى ليخيل لكثير من المعنيين بالدراسات اللغوية ان الكلمة « عامية » ولا صلة لها بالفصيحة . وقد سمى الاستاذ شفيق جبري

من (١) اعضاء مجمع اللغة العربية في دمشق هذه الكلمات « بقايا الفصاح » وهي تسمية حسنة وددت استعمالها لولا حرصي الشديد على بيان ان ابتعاد هذه الالفاظ الفصيحة عن الفصيح المستعمل في ايامنا واستقرارها في اللغة العامية مسألة لغوية تكشف عن حقيقة التاريخ اللغوي وما يعرض له من التطور الحضاري .

ونحن نعرض لهذه الالفاظ متبعين النظام الهجائي في ترتيبها والكلام عليها .

باب الالف

باب الباء

بجّ : وهي في عامية بغداد بمعنى كسر ، يقولون : بج السارق (الحرامي) الباب أي كسر مغلاقها . والجيم في هذا الفعل العامي تحول الى الجيم الاعجمية وهو الذي يرسمه (الاعاجم) « چ » بثلاث نقاط تحتية .

وهذا الفعل من الفصيح المهجور الذي لا وجود له في الفصيحة الحديثة واستعماله الفصيح في قولهم :

بجّ الجرح والقرحة يبجها بجا أي شقها . ويقال : انبجت ماشيتك من الكلأ اذا فتقها السمن من العشب . والبج : الطعن يخالط الجوف ولا ينفذ .

بزل : يقال بزل الشيء يبزله بزلا وبزّله فتبزل أي شقه ، وتبزّل السقاء أي انشق أي فيه بزل والجمع بزول . وهذا كله مما تجنبته اللغة الفصيحة في عصرنا واستقر في الكلام الدارج يقال : بزل الثوب وتبزل الثوب وانبزل .

(١) انظر مجلة مجمع اللغة العربية بدمشق الجزء الثالث المجلد الخامس والاربعون .

بطّ : وهي في عامية غير جهة واحدة بمعنى شق . وما اراها في الفصيح المعروف في عصرنا الا مماتة . وهي من غير شك فصيحة ، يقال : بط الجرح وغيره يبطه بطا وبجه بجا اذا شقه . والمبطة المبضع . وبططت القرحة : شققتها .

وفي الحديث : انه دخل على رجل بـه ورم فما برح حتى بط . والبط شق الدمل والخراج ونحوهما .

بشم : يقال في العامية : انبشم فلان اي اكل فشبع فتجاوز ذلك الى حد التخمة . وهو من الفصيح المهجور . يقال : بشمت من الطعام بالكسر اي اكل حتى اصيب بالتخمة .

بهش : يقال في العامية : طفل او ولد باهش وهم يريدون به منطلق على سجيته ، فرح باش . وليس لهذه الكلمة وجود في العربية المعاصرة . ومعناها الفصيح المهجور شيء يشبه الاستعمال الدارج .

عن ابن الاعرابي ان « البهش » الاسراع الى المعروف بالفرح وبهش الي الرجل فهو باهش وبهش : حن وبهش به فرح .

باك : بالكاف التي تحولت في العامية الى الكاف الثقيلة التي تنطق نطق الجيم المصرية والفعل في العامية العراقية يعني «سرق» وقد ننطق بالقاف في لغة اهل شمالي العراق او في لغة نصارى العراق . وقد اميت هذا الفعل في العربية الفصيحة المعاصرة . وفي الفصيح المهجور ان « البوق » الكذب والباطل.

بيت : يقال في العربية العامية في غير جهة واحدة من العراق بات يبات والفعل المضارع بالالف لا بالياء وهي الصيغة الفصيحة الشائعة اما يبات فهي من الفصيح المهجور الـذي استقر في العامية .

« والبائت » الفاب يقال خبز بائت وكذلك البيوت . وماء بيوت ما بات فبرد . وكلا البـائت والبيوت ممـا زال مـن الفصيح في عصرنا وبقي في العامية .

باب التاء

تخخ : يقال « تخ العجين » اذا اختمر وكذلك « تختخ » . وفي اللغة : « تخ العجين » اذا حمض ، والتخ العجين الحامض .

تلد : يقال في العامية « ولد تلد » على سبيل الاتباع . وهذا الاتباع غير معروف في فصيحتنا التي نباشرها . والذي نعرفه مـن معنى « التلد » ان التلاد والتالد والتليد والمتلد الحال القديم. وعن ابن شميل : التليد الذي ولد عندك وهو المولّد .

تالة : من ألفاظ النخل المعروفة لدى المعنيين بالنخيل في عصرنا ولا سيما في المنطقة الجنوبية ولا تكاد الفصيحة تعرف هذه اللفظة الان و « التال » في فصيح العربية صغـار النخـل وفسيله والواحدة « تالة » .

باب الثاء

ثول : من ألفاظ النبز عند العوام « أثول » نعت للمذكر و « ثولة » نعت للمؤنث ويريدون بها « غبي » و « غبية » وهمـا مـن الالفاظ التي عافتها الفصيحة المعروفة في عصرنا . والذي نعرفه ان « الاثول » الاحمق والمجنون والثول بالتحريك شبه جنون في الشـاء يقال للمذكر « أثول » وللانثى « ثولاء » وكبش أثول ونعم ثولاء .

ويقال : ثال فلان يثول ثـولا اذا بـدا فيـه الجنون ولم

يستحكم فاذا استحكم قيل ثول يثول ثولا . وهذا الاستعمال معروف في العامية فهم يقولون : ثال راسي بمعنى طاش ودار .

الثنية : وهي في العامية القروية الجنوبية تعني الطريق وهي من الكلمات التي لا تعرفها فصيحتنا الحاضرة . والثنية الطريق في الجبل كالنقب وقيل : هي العقبة . وكل عقبة مسلوكة ثنية وجمعها ثنايا .

باب الجيم

جبس : وضبطها في العامية بكسر الجيم فسكون الباء وهي بذلك كالفصيحة . ومعناها اللئيم والبخيل . ومعناها في الفصيح شيء لا يبعد عن هذا فالجبس الجبان الفدم واللئيم والرديء. ومن المعلوم ان هذه الكلمة تكاد تكون قد ابتعدت عن الفصيحة الحديثة .

جخف : والجخيف في العامية صوت النفس الشديد . يقولون : نام بجخيفه . وهذه الكلمة من الاصول الفصيحة المهجورة في لغتنا المعاصرة .

والجخيف : صوت من الجوف اشد من الغطيط . وجخف النائم جخيفا نفخ . وفي حديث ابن عمر : انه نام وهو جالس حتى سمع جخيفه اي غطيطه في النوم .

جرش : يقال في العامية جرش الحنطة والرز اذا طحنه طحنا خشنا فهو جريش والالة الجاروش او الجاروشة والصانع في هذه الالة الجاروش ايضا . وهي كذلك في الفصيحة المعجمية ، على اننا لا نكاد نجدها في الفصيحة المعروفة في ايامنا .

جفل : يقال في العامية جفل فلان اذا بوغت واخذ على غرة فانتفض بسرعة . وفي اللغة الفصيحة : جفل الظليم واجفل اذا شرد وذهب . واجفل القوم اي هربوا مسرعين . وهذه المادة ليس لها وجود في الفصيحة المعاصرة .

جلط : يقول العامة : « جلط الجرح » وانجلط ، اذا تهرأ عنه الجلد . وفي فصيح العربية : « جلط الجلد عن الظبية » كشفه ، وجلط رأسه حلقه . وهذا مما لم يبق شيء منه في فصيحتنا المعاصرة .

جلل : الجلة بكسر الجيم في العامية وتعني الزبيل المصنوع من الخوص . وهو نفسه في اللغة الفصيحة : وعاء يتخذ من الخوص يوضع فيه الثمر وضبطه بضم الجيم .
اما الجله بفتح الجيم فهي عذرة الدواب التي تجف فيتخذها الناس وقودا في القرى والارياف وهي الى عهد قريب معروفة في المدن الكبيرة . وفي اللغة الفصيحة الجلة البعر . وجل البعر جلا : جمعه والتقطه بيده . واجتل اجتلالا : التقط الجلة للوقود .

جمز : تحولت الجيم الفصيحة في النطق العامي الى جيم ثقيلة انفجارية كنطقها لدى كثير من اهل مصر . والمعنى في العامية الدارجة « قفز » وفي اللغة الفصيحة : جمز الانسان والبعير والدابة يجمز جمزا وجمزى وهو عدو دون الخطر الشديد وفوق العنق . وحمار جمزى وثاب سريع .

جمم : يقال في العامية فلان اجم ، يريدون انه محلق جمته اي مجتمع شعره ، والاجم في الكلام الفصيح الكبش الذي لا قرن له وشاة جماء ليس لها قرن . وقد توسعت العامية في الاستعمال فاستعارت الاجم للعاقل .

باب الحاء

حجل : يقال في العامية الدارجة : « هو يحجل » اذا رفع رجلا وقفز على الاخرى . وهي بمعناها في اللغة الفصيحة ، غير اننا لا نكاد نجدها في فصيحتنا الحاضرة .

حزر : يقال في العامية : حزر فلان الامر أي اصاب الحقيقة بالحدس. والحزر في اللغة الفصيحة حزرك عدد الشيء بالحدس اي التقدير والخرص . ويكاد يكون الاستعمال العامي مثل الفصيح غير ان « حزر » لا نكاد نجدها في اللغة الفصيحة في عصرنا .

حزز : تقول العامة في جهات من شمالي بغداد « الحز » او «هالحز» او « الحزة » ويريدون به « الآن » . وهي كذلك في البادية الشامية . وهو كذلك في كتب اللغة فقد ذكروا : ان الحز بمعنى الوقت والحين ولعل الحز جمع حزة بمعنى الساعة يقال : أي حزة تأتيني قضيت حاجتك وانشدوا : « وابنت للاشهاد حزة ادعي » .

حزق : يقال في العامية : حزقني الامر أي ضقت به وضاقت السبل . وفلان محزوق أي مضيَّق عليه . ومعناها في اللغة الفصيحة : حزقه بالحبل شده . وحزق القوس شد وترها.

ولا نكاد نجد لهذا الفعل اثرا في الفصيحة المعاصرة .

حزو : يقال في العامية في جنوب العراق : حزا بمعنى حزو وادرك وعرف ، وفي الكلام الفصيح حزا حزيا وحزا حزوا وتحزى أي تكهن . والحازي الذي يحزر الاشياء ويقدرها بظنه وهذا هو الاستعمال نفسه في العامية . غير ان اللغة الفصيحة في عصرنا قد خلت من هذه الكلمة .

حصف : الحصف بثر صغار يقيح ولا يعظم . وهو موجود في العامية والفصيحة . على انا نكاد لا نحس بوجوده في لغتنا المعاصرة .

حفف : يقولون في العامية الدارجة : حفت المراة وجهها اي ازالت الشعر عنه بالخيط والمعنى نفسه في اللغة الفصيحة . يقال : حفت المراة وجهها واحفت واحفت وهي تحتف اي تأمر من يحف شعر وجهها نتفا بخيطين .

حمز : الحمزة في العامية الشمالية البقلة الحمقاء وهي كذلك في اللغة الفصيحة وتسمى في عامية بغداد (بربين) وهي لفظ اعجمي .

باب الخاء

خبص : وهو في العامية يفيد الخلط ولا ينصرف الا لشيء غير حسي فاذا قيل : فلان خبص جماعته اي خلط الامر عليهم فاضطربوا . وهذا المعنى مستفاد من الفصيح القديم الذي تنكرت له اللغة الفصيحة في ايامنا .

قالوا : خبص الحلواء يخبصها خبصا وخبصها خلطها وعملها . وخبص الشيء بالشيء خلطه .

خثر : يقال خثر اللبن اي اصبح خاثرا وهو الرائب . وهي ايضا من اللغة العامية الدارجة في حين ان ذلك ليس من الفصيحة الحديثة .

خثي : روث البقر وهي كلمة لا نعرفها الا في الفصيحة القديمة وفي بطون كتب اللغة . جاء في « اللسان » خثى البقر يخثي خثيا رمى بذي بطنه ، وخص به ابو عبيد الثور وحده دون البقر ، والاسم الخثي والجمع اخثاء مثل حلس واحلاس .

وقال ابن الاعرابي : الخثي للثور .

خرص : وهو في العامية الدارجة قدر بالحزر والتخمين . ولا نكاد نجد هذا الفعل في الفصيحة التي نستعملها . غير ان المعروف في كتب اللغة ان اصل الخرص التظني فيما لا تستيقنه ، ومنه خرص النخل او الكرم اي حزر ما على النخل من الرطب ، ومن العنب على الكرمة .

خدد (مخدة) : وفي هذه المادة ترد كلمة « المخدة » للشيء المعروف. وهذه الكلمة لا نكاد نجدها في لغتنا الفصيحة . والمخدة الوسادة .

خشش (خش) : والفعل « خش » معروف في العامية العراقية عامة بمعنى « دخل » واللغة الفصيحة في عصرنا قد تنكرت لهذه الكلمة الفصيحة حتى لكأنها من العامي الدخيل . وفي كتب اللغة : خش في الشيء يخش خشا وانخش بمعنى دخل . وخش الرجل : مضى ونفذ . ورجل مخش : ماض جريء على هوى الليل ومخشف وقد اشتقه ابن دريد من قولك : خش في الشيء دخل فيه . وانخش الرجل في القوم انخشاشا دخل فيهم وقال ابن مقبل :

وخشخشت بالعيس في قفرة   مقيل ظباء الصريم الحرم

خمم : يقال : خم اللحم اذا نتن وتغيرت ريحه . وهي كذلك في اللغة الفصيحة كما في كتب اللغة ، غير اننا لا نكاد نجدها في فصيحتنا المعاصرة .

باب الدال

دبب : وترد في هذه المادة « دبة » بفتح الدال وتشديد الباء التي يجعل فيها الزيت والبزر والدهن . وهذه ما زالت في عاميتنا

معروفة في حين انها غابت من الفصيحة .

دبق : يقال : هذا الشيء « بدبق » اذا لصق كما يلتصق الدبق . والدبق كل ما يلتصق باليد او بأي شيء آخر . واكثر ما يتصل استعمال الكلمة بالتمر واصناف الفاكهة الاخرى التي تشتمل على السكر في تركيبها . وهذا من الفصيح الصحيح الذي لم يستعمل في فصيحتنا المعاصرة .

دثث : الدث : اضعف المطر واخفه . وهذه مما أميت في الفصيحة الحديثة وحفظته العامية .

دلل : من فصيح العربية : دله على الشيء يدله دلا ودلالة ، ومنه « اندل » وهذا الفعل المزيد هو موضوعنا فلا تعرف عربيتنا الفصيحة الحديثة هذا الفعل في حين انه معروف في العامية في جهات عدة من العراق وغيره . يقال في العامي الدارج : فلان يندل الطريق أي يعرفه . والفعل في صورته المزيدة معروف في الفصيحة القديمة . قال الشاعر :

ما لك يا احمق لا تندل وكيف يندل امرؤ عثول

دوف : يقال في العامية الجنوبية وفي المواطن القروية بنحو خاص : داف الدواء او الشراب أو أي شيء من الموانع . ولا نكاد نسمع بهذا الفعل مستعملا في لغتنا الفصيحة المعاصرة اما في الفصيحة القديمة فهو مشهور معروف . يقال : داف الشيء دوفا يدوفه خلطه واكثر ذلك في الدواء والطيب .

باب الراء

رأل : والرؤال في الفصيحة المعجمية معروف وان خلت الفصيحة الحديثة . اما في العامية فالكلمة معروفة وهي « الروال »

بالواو وهو ما يسيل من اللعاب من فم الطفل . على انـه في الفصيحة لعاب الدواب .

رثع : الرثع (بكسر الراء والثاء) معروف في العامية البغدادية بمعنى الدنيء والخسيس واللئيم . وقد خلت لغتنا الفصيحة في عصرنا هذا من هذه الكلمة في حين ان لغتنا الفصيحة العريقة قد عرفت هذه الكلمة واليك معناها .

الرثع (بالتحريك) الطمـع والحرص الشديد والدناءة وميل النفس الى دنيء المطامع . ورجل رثع فرح الشره والحريص ذو الطمع وكذلك الراثع .

ركس : الركس قلب الشيء علـى رأسه او رد اولـه علـى آخره والارتكاس الارتداد . وهذا مما لا نعرفه في لغتنا الفصيحة الحديثة في حين بقي في العامية حيا فـي معنـى واستعمال يشبهان الفصيح .

رعف : الرعاف (بضم الراء) من الكلم الفصيح تعني الـدم الذي يسبق من الانف والفعل رعف يرعف بابه « نصر » وهذه الكلمة تكاد لا تسمع في لغتنا الفصيحة المعاصرة . غير ان هذه العامية القروية ولا سيما الجنوبية تشتمل على شيء كثير من الاصول الفصيحة .

رمش : الرمش عند العامة تحريك اجفان العين وهو فـي اللغـة ادارة عين المرأة بغمز الرجل (كما في اللسان مادة هجل) ، وقال في مستدرك التاج « رمش العين جفنها » . وقال ابن الاعرابي وحكاه صاحب اللسان عنه : المرماش الذي يحرك عينيه عند النظر وجمعه صاحب التاج « مرامش » .

قلت : والاستعمال العامي لا يبتعد عن الفصيح . وهذا مما لا نجده في فصيحتنا المعاصرة .

روز : الروز في الكلام الفصيح التجربة ، ورازه يروزه روزا جرب ما عنده وخبره . والروز الامتحان والتقدير . وراز الحجر : وزنه ليعرف ثقله . وفي العامية في اكثر من جهة واحدة في العراق نجد الكلمة بهذا المعنى ، يقال راز البضاعة اي حملها ليقدر وزنها . على اننا نفتقد هذه الكلمة في فصيحتنا الحديثة .

روبة : الروبة بقية اللبن المروب وهي الخميرة . وهذه مما لا نجده في لغتنا الفصيحة المعاصرة في حين انها معروفة في العامية الجنوبية وهي تفيد اللبن الرائب .

باب الزاي

زحر : من الكلام الفصيح الزحير والزحار والزحارة وهو اخراج الصوت او النفس بأنين عند عمل او شدة . والفعل زحر يزحر مثل « قرأ » وهذا المعنى موجود في العامية في حين لا تعرف الفصيحة الحديثة هذا الفعل بهذا المعنى . نعم لقد استعمل الزحار في لغة الطب الحديث في المعنى القديم الذي سجلته المعجمات وهو تقطيع في البطن يمسى دما .

زمخ : وزمخ الرجل بأنفه زمخا وشمخ : تكبر وتاه . والكلمة كذلك في العامية الدارجة الا ان الفصيحة الحديثة قد خلت منها .

زنخ : زنخ الدهن والسمن والطعام تغيرت رائحته . ولا نكاد نجد هذا الفعل في العربية المعاصرة في حين انها معروفة في العامية الدارجة .

زهف : من فصيح الكلام الزهوف : الهلكة ، وازهفه : اهلكه واوقعه . وهذا مما خلت منه اللغة الفصيحة في ايامنا في اي

من الاقاليم التي تنطق بالعربية . غير ان العامية البغدادية قد احتفظت بالفعل « زهف » على صيغة المضعف في المعنى نفسه ، يقال زهفه أي خدعه واوقعه .

باب السين

سجر : والسجر ايقادك في التنور تسجره بالوقود سجرا ، والسجور اسم الحطب وسجر التنور اوقده واحماه . وهذه المواد اللغوية مما لا نعرفه في لغتنا الفصيحة الحديثة في حين انها معروفة في العامية الدارجة .

وهي في العامية البغدادية بالشين (شجر) .

سحل : والسحالة ما سقط من الذهب والفضة ونحوهما اذا بردا . وسحالة البر والشعير قشرهما اذا جروا منه وكذلك غيرهما من الحبوب كالارز والدخن . قال الازهري : وما تحات من الارز والذرة اذا دق شبه النخالة فهي ايضا سحالة . وكأن هذه الكلمة ليست من الكلام الفصيح ذلك انها من الفاظ العامة في عصرنا .

سدح : السدح اضجاعك الشيء على وجه الارض. ويقال : سدحته فانسدح فهو مسدوح وسديح . وقد خلت اللغة الفصيحة في عصرنا من هذه المادة اللغوية في حين انها معروفة في العامية الدارجة .

سرد : السرد الثقب ، والمسرودة الدروع المثقوبة ، والمسرد المخصف ولا نكاد نجد هذا الفعل بهذا المعنى في معجم لغتنا الحديثة في حين انه معروف في العامية الجنوبية فيقال :
ثوب مسرود أي مثقوب ، وثوب مسرد (بتضعيف الراء) أي كثير الثقوب ولقد احتفظت اللغة الفصيحة المعاصرة بالفعل

« سرد » بمعنى « قص » يقال سرد القصة او الحكاية .

سفف : يقال سف الخوص يسفه سفا أي نسج بعضه في بعض ولا يكاد ابناء هذا العصر يعرفون هذا الفعل لا سيما في الجهات غير الجنوبية من العراق مع ان الكلمة فصيحة معجمية . غير ان العامية الجنوبية قد احتفظت بهذا الفعل .

سكر : ومن معاني هذا الاصل يقال : سكر النهر يسكر سكرا : سد فاه . والسكر : سد الشق ومنفجر الماء . والسكر اسم ذلك السداد . ولا نكاد نعرف في فصيحتنا المعاصرة هذه الكلمات في حين ان من العامية الدارجة « السكر » بكسر السين للسد الذي يمنع النهر او يسد الماء .

سلأ : جاء في كتب اللغة : سلأ السمن يسلؤه سلأ واستلأه : طبخه وعالجه فأذاب زبده . وهذا مما خلت منه عربيتنا الفصيحة في عصرنا في حين اننا نجد هذا الفعل في معجم العامية الدارجة .

سلت : يقال سلت المعي يسلته سلتا أي اخرجه بيده . وهذا ما نجده في عاميتنا الحديثة .

سلح : السلح اسم لذي البطن ، وقيل لما رق منه من كل ذي بطن والسلاح بالضم : النجو ، وقد سلح يسلح سلحا وجميع هذا قد خلت منه فصيحتنا المعاصرة في حين انه يرد في اللغة العامية البغدادية .

سوف : الساف في البناء : كل صف من اللبن ، يقال : ساف من البناء وسافان وثلاثة آسف وهي السوف .

وهذه الكلمة ما زالت حية في لغة البناء الدارجة في حين انها قلما ترد في اللغة الفصيحة .

سير : السير ما قد من الاديم طولا والجمع السيور . وهذا مـا هو معروف في لغتنا الدارجة كأن يقال : سير النعل . وهـو ما نفتقده في لغتنا الفصيحة في عصرنا الحاضر .

سيع : يقـال : سيعت الحائط اذا طينته بالطين والسياع الطين او الجص . وهذا ما لا نعرفه في الفصيحة المتداولة فـي حين اننا نلتمسه في ألفاظ العامة .

باب الشين

شبح : مـن معاني « شبـح » واستعمالاتها قولهم : رجـل شبح الذراعين ومشبوحها أي عريضهما . وشبح الرجل : مده ليجلده . وهـذا الاستعمال ممـا لا نجده فـي معجم العربية الحديثة ، على انه معروف في العامية الدارجة ، يقال : شبح يديه أي مدهما .

شدخ : الشدخ : الكسر في شيء رطب ، وقيل هو التهشيم يعني به كسر اليابس وكل اجـوف . وفـي الحديث : فشدخوه بالحجارة وهـذا مـن الكلم الـذي اميت في لغتنـا الحديثة واحتفظت بـه العامية الدارجة .

شطر : ومن معاني الشطر « شطر الناقة » وللناقة شطران قادمان وآخران . وشطر بناقته تشطيرا صر خلفيها وترك خلفين . وشطر الشاة احـد خلفيها . وهـذا مـن الالفـاظ العتيقة الفصيحة التي لم يبق منها في الفصيحة الحديثة في حين ان العامية الدارجة تشتمل عليها .

شمخر ، شمخرة : الشمخرة الكبر وفلان شمخر أي به شمخرة . وهذه من الكلم الذي يظن انه من العامي الدارج ذلـك انه لا

يستعمل في اللغة الفصيحة في عصرنا في حين انه شائع في العامية .

شيط : من فصيح العربية قولهم : شاط الشيء شيطا وشياطة وشيطوطة احترق ، وخص بعضهم به الزيت والرب وشاطت القدر احترقت . ويقال شيطت رأس الغنم وشوطته اذا احرقت صوفه لتنظفه . والشياط ريح قطنة محترقة . وجميع هذا مما لا نعرفه الان في اللغة الفصيحة المتداولة في حين انه معروف في العامية .

باب الضاد

ضرع : الضريع نبات اخضر منتن خفيف يرمي به البحر . وفي التنزيل : « ليس لهم من طعام الا من ضريع لا يسمن ولا يغني من جوع » وهذا من الكلم الذي لم يبق شيء منه في الفصيحة المتداولة في حين ان العامية الجنوبية العراقية تعرف هذا. فقد يتفسخ السمك عندهم لقدمه حتى يغشاه نتن مائل الى الخضرة يعرف بالضريع ويقولون « مضرع » وقد تجاوز هذا السمك فيقال في التمر المتفسخ كذلك .

ضني : يقال في العربية الفصيحة : رجل ضن وامرأة ضنينة ، وضنت المرأة اي كثر ولدها تضنو وتضني ضنى وضناء والضنء الولد بالفتح والكسر وكذلك الضنو بالفتح والكسر والضنى بالضم الاولاد . وهذا ما لا نعرفه في اللغة الفصيحة المتداولة وهو معروف في العامية ولا سيما في الجهات الوسطى من العراق اي حوالي بغداد .

باب الطاء

طحر : جاء في كتب اللغة ان الطحر والطحار والطحير النفس العالي. وقال ابن سيده : الطحير مثل الزحير وهو الصوت . وليس شيء من هذا في الفصيحة المتداولة في عصرنا غير ان العامية تعرف الطحر ويطحر وسائر مشتقاته .

طحم : الطحمة : ضرب من النبت وهي الطحماء . وقال ابو حنيفة : الطحمة من الحمض وهي عريضة الورق كثيرة الورق . وهي من النباتات البرية التي لا نعرفها في لغة النبات الحديثة في حين ان اهل القرى الجنوبية في العراق يعرفونها باسمها وضبطها عندهم بفتح الطاء والحاء .

طرش : الطرش الصمم ، وقيل : هو اهون الصمم . ومن الثابت ان اللغة الفصيحة قد تنكبت هذه اللغة في حين ان العامية تعرفها ولا تعرف الصمم .

طوح : طاح يطوح ويطيح طوحا : اشرف على الهلاك وقيل هلك وسقط او ذهب . وهذا ما لا نجده في كلامنا الفصيح في عصرنا في حين انه معروف مشهور في العامي الدارج .

طلع : يقال : فلان طلاع الثنايا وطلاع انجد اذا كان يعلو الامور فيقهرها بمعرفته وتجاربه . ويقال : طلعت سن الصبي . وهذا كله مما لا نجده في معجم لغتنا الفصيحة المعاصرة في حين ان العامية الدارجة تعرف كل هذا في معاني واستعمال « طلع » .

طفر : الطفر وثب في ارتفاع . وهذا عينه في اللغة الدارجة في حين ان الفصيحة المعاصرة تعرف القفز دون الطفر .

باب العين

عبط : من فصيح العربية : عبط الذبيحة يعبطها عبطا واعتبطها نحرها من غير داء وهذا ما لا نجده في لغتنا الفصيحة المعاصرة في حين ان الفعل « عبط » معروف في اللسان العامي الدارج .

عجج : العجاج هو الغبار وهو معروف والتعجيج اثارة الغبار . وهذا كله قد ابتعد عن اللغة الفصيحة المعاصرة في حين ان العامية تعرفه .

عزب : يقال : رجل عزب أي لا اهل له . وامرأة عزبة وعزب لا زوج لها . ومعزبة الرجل وعازبته أي امرأته وهذا شيء نجده في العامية العراقية في حين خلت منه اللغة الفصيحة المتداولة .

علو : يقال : تعلت المرأة أي طهرت من نفاسها . ومثل هذا يقال في العامية الدارجة في حين اننا لا نعرف هذا في اللغة الفصيحة المتداولة .

باب الغين

غبب : يقال غب الطعام والتمر يغب غبا وغبا وغبوبا وغيبوبة فهو غاب أي بات ليلة فسد ام لم يفسد ، وخص به بعضهم اللحم وقيل غب الطعام تغيرت رائحته . ويسمى اللحم البائت غابا وغبيبا وهذا ما نعرفه في العامية ولا نعرفه في الفصيحة المتداولة .

غرز : الفارز من النوق هي القليلة اللبن وغرزت الناقة تغرز غرازا وما زال هذا اللفظ معروفا عند القرويين في جنوبي العراق ، غير ان معجم الفصيحة الحديثة قد خلا من هذه اللغة القروية .

غرنوق : هذا من لغة البدو في عصرنا ويريدون به الشاب الناعم الابيض الجميل . وهو كذلك في اللغة الفصيحة كما تنص عليه كتب اللغة ، الا ان فصيحتنا المعاصرة قد اماتت هذه الكلمة . ومن المفيد ان اشير الى ان في الكلمة صورا هي : الغُرنوق والغِرنَوق والغرنيق والغرنق والغرناق والغرانق والغرونق .

باب الفاء

فطس : من الفصيح المهجور : فطس يفطس فطوسا اذا مات ومقلوبه طفس . وقيل : مات من غير داء ظاهر فهو فاطس وطافس. وبقي هذا اللفظ في العامية الدارجة في جهات عدة من العراق فالفطيس والفطيسة من الدواب الهالك .

فقع : الفقع في فصيح العربية الابيض الرخو من الكمأة وهو اردؤها وكذا في العامية البدوية على ان اهل الحواضر لا يعرفون الفقع ولا تعرفه اللغة الفصيحة المعاصرة .

فلع : يقال : فلع رأسه بالسيف فلعا أي شقه وشدخه وهذا معروف في العامية الدارجة وغير مألوف في الفصيحة المتداولة .

فيص : قال الاصمعي : قولهم ما عنه محيص ولا مفيص أي ما عنه محيد . وما استطعت ان افيص منه أي احيد . وقولهم فاص في الارض أي ذهب . وهذا من الكلم العتيق الذي لا نجده في اللغة الحديثة في حين ان العامية احتفظت به وبالاستعمال نفسه ، يقولون : ما يفيص أي لا يذهب او لا يأتي بشيء .

باب القاف

قرن : من معاني القرن الذؤابة والضفيرة والجمع قرون . وهو شيء نعرفه في اللغة الدارجة ولا نعرفه في الفصيحة المعاصرة .

قند : القند والقندة والقنديد كله عصارة قصب السكر اذا جمد وقالوا سويق مقنود ومقند معمول بالقنديد . قال ابن مقبل :

أشاقك ركب ذو بنات ونسوة
بكرمان يعتفن السويق المقندا

وهذا من اللغة القديمة التي لا نعرفها في فصيحتنا المعاصرة في حين ان « القند » معروف في العامية لضرب من السكر .

قفر : يقال : خبز قفار أي غير مأدوم وأكل خبزه قفارا وهذا ما نجده الان في العامية الدارجة فيقال : رز قفار أي بلا سمن . وجميع هذا ما لا يدور استعماله في الفصيح المتداول .

قبص : يقال « قبص قبصة » أي تناول شيئا قليلا . وفي فصيح العربية : القبص التناول بالاصابع بأطرافها وهو دون القبض . وقرأ الحسن : « فقبصت قبصة من اثر الرسول » . وقراءة العامة « فقبضت قبضة » . وعن الفراء : القبضة بالكف كلها، والقبص بأطراف الاصابع . وهذا ما لا نجده في فصيحتنا الحديثة .

باب الكاف

كشش : ما زال عامة البغداديين العاملين في النخل يستعملون «الكش» بضم الكاف للشمراخ الذي يؤخذ من الفحل فيدس في الطلعة لتلقيحها وهو ايضا الحرق في الفصيح والحراق

والحراق والحروق . اما الكش فلا تعرفه فصيحتنا المعاصرة .

باب اللام

لحس : اللحس باللسان ، يقال : لحس القصعة واللحسة اللعقة والكلب يلحس الاناء لحسا . ومثل هذا معروف في اللسان الدارج في حين تكاد تخلو اللغة الفصيحة في عصرنا من شيء من هذا .

لصف : يقال : لصف لونه يلصف لصفا ولصوفا برق وتلألأ وانشد لابن الرقاع :

مجلحة من بنات النعا م بيضاء واضحة تلصف

وهذا من الكلم المعروف في اللسان العامي الدارج ولشيوعه ابتعدت عنه الفصيحة الحديثة .

لطع : اللطع هو اللحس وهو باللسان ، ولطعه يلطعه لطعا أي لعقه لعقا . ورجل لطاع يمص اصابعه اذا أكل . وهذا مما بقي في اللسان الدارج دون الفصيح الحديث .

لغس : اللغوسة سرعة الاكل ونحوه ، واللغوس السريع الاكل ، والعين فيه لغة . وهذا مما تجنبته الفصيحة في ايامنا لعاميته وشيوعه .

لطأ : يقولون : « فلان يلطي » بتضعيف الطاء ويريدون به يلتصق لنبزه واحتقاره أي انه ثقيل يثقل على من يتصل به او يزوره . وهو استعمال مجازي للفعل الفصيح « لطيء . يلطأ » أي لزق بالارض . وبيت لاطيء لا يكاد يظهر عن الارض . وهذا كله مما لا نعرفه في الفصيحة المعاصرة .

لكع : يقال : لكِع عليه الوسخ اذا لصق بــه ولزمه . وهذا ايضا من الكلم الشائع في اللسان الدارج الذي تجنبته اللغة الفصيحة في عصرنا .

لهج : يقال : لهوج الشيء خلطه ، وطعام ملهوج وملفوش وهو الذي لم ينضج ، ولهوج اللحم : لم ينعم شيه ، قال الشماخ :

وكنت اذا لاقيتها كان سرنا   وما بيننا مثل الشواء الملهوج

وهذا كله معروف في عاميتنا وبسبب من ذلك لم يذكر فــي الفصيحة الحديثة .

باب الميم

مأج : المأج هو الماء الملح ، قال ابن هرمة :

فانك كالقريحة عام تمهى   شروب الماء ثم تعود مأجا

وهو في العامية « المج » ولا نكاد نسمعه في فصيحتنا الحديثة.

مدد : يقال : امد الجرح يمد امدادا : صارت فيه مِدة (بكسر الميم) والمدة معروفة في العامية الدارجة بخلاف اللسان الفصيح الحديث .

مرخ : مرخه بالدهن يمرخه مرخا ومرخه تمريخا دهنــه ودلكه . وهذا ما نعرفه في اللسان الدارج دون الفصيحة الحديثة .

مشش : يقال : مش يده : مسحها بشيء . وفي المحكم : بالشيء الخشن ليذهب به غمرها وينظفها ، قال امرؤ القيس :

نمش بأعراف الجياد أكفنا   اذا نحن قمنا عن شواء مضهب

وهذا من الكلم الشائع في العامية دون الفصيحة في ايامنا .

معط : معط الشيء يمعطه معطا : مده ، والمعط الجذب . ومعط السيف وامتعطه سله ، وامتعط رمحه انتزعه ورجل امعط امرط أي املط لا شعر له .

وهذا كله مما هو معروف في لساننا الدارج دون الفصيح في عصرنا . وربما جاء بالغين ايضا وكذا في كتب اللغة قالوا : رجل ممعط وممغط أي طويل ، ولعله لغتان كالمعص والمغص . ولعنك ولغنك وغير هذا كثير .

ملخ : الملخ : قبضك على عضلة عضا وجذبا ، يقال : امتلخ الكلب عضلته . وهذا من الكلم المعروف في العامية ولعل بسبب من هذا تنكرت له الفصيحة .

ملل : الملة : الرماد الحار والجمر . ويقال : أكلنا خبز ملة . وهذا من ألفاظ العامية في عصرنا ، ومن غير شك ان الفصيحة الحديثة لا تعرفه .

موص : الموص : الغسل ، ومصت الشيء : غسلته . وفي حديث عائشة في عثمان : « مصتموه كما يماص الثوب ثم عدوتم عليه فقتلتموه » . وهذا اللفظ مما أميت في فصيحتنا الحديثة وبقي مستعملا في العامية .

باب النون

نث : النث في اللغة نشر الحديث ، وقيل : هو نشر الحديث الذي كتمه أحق من نشره . وهذه الكلمة مما لا نجده في اللغة الفصيحة الحديثة في حين انها موجودة في العامية الدارجة فيقال : نث المطر أي بدأ المطر رذاذا خفيفا . ولعل النث هذا في اللسان العامي جاء من الابدال بين الدال والنون والاصل هو الدث .

نحط : النحط شبه الزفير وعن ابـن سيـده : النحط والنحيط والنحاط أشد البكاء . وهذا ما لا نجده في عربيتنا الفصيحة الحديثة في حين انه معروف في العامية بمعناه ، واظنه قـد تحول الى « نهت » في اكثر من لون من الوان العامية العراقية.

ندس : في حديث ابي هريرة : انه دخل المسجد وهو يندس الارض برجله أي يضرب بها . ويقال : ندسه بكلمة أي اصابه . وهذا الفعل مما لا نعرفه في لغتنا الفصيحة الحديثة في حـين انه معروف مشهور في العامية بمعنى دفعه واصابه .

نسس : النس : المضاء في كل شيء ، وخص بعضهم بـه السرعة في الورد . وهذا من الكلم الذي لا نعرفه في الفصيحة الحديثة في حين انه معروف في كلامنا الدارج . يقال : فلان نس أي مضى بخفة وسرعة .

نفف : النفف : ما يخرجه الانسان من انفه من مخاط يابس . وكذا النفغة ما يبس من الذنين (١) الذي يخرج من الانف وهذا ما نفتقده في الفصيحة الحديثة ونجده في العامية القروية .

نود : يقال : ناد الرجل نوادا أي تمايل من النعاس . وهذا من الكلم الذي لا نعرفه في الفصيحة المعاصرة في حين انه معروف في اللسان الدارج .

باب الهاء والواو

هرس : الهرس أي الدق ، ومنه الهريسة . وهرس الشيء يهرسه هرسا : دقه وكسره ، والمهراس الآلة التي يهرس بها . وهذا مما بقي في عاميتنا العراقية بوجه عام .

---

(١) المخاط الرقيق .

هس : هس يهس هسا : حدث نفسه، وهس الكلام اخفاه والهاهس الوساوس وحديث النفس ووسوستها . ولا شيء من هذا في الفصيحة المعاصرة بخلاف العامية ولا سيما الجنوبية العراقية فانها تعرف هذا اللفظ بالمعنى نفسه .

هيف : الهيف والهوف ريح حارة تأتي من قبل اليمن وهي النكباء التي تجري بين الجنوب والدبور من تحت مجرى سهيل. وقد بقيت « الهيف » في كلام العامة دون ان تبقى في اللغة الفصيحة .

وغر : الوغر شدة توقد الحر . وهذا مما بقي حيا في العامية دون الفصيحة .

وبعد فهذا ما انتهى اليه الاستقراء والنظر في لغتنا لمعرفة ما كان من تاريخها وتطورها وكيف انتهت اليه . وقد بدا لنا ان للالفاظ حياة ، فهي تنشأ وتتسع وتنتشر فأما ان تبقى لدوام الحاجة اليها او تهرم فتموت لانعدام الحاجة اليها ، او قد يسد غيرها مسدها .

ولعل استقراء اوفى يثبت ان في عاميتنا في مختلف مواطنها اشياء اخرى تحدرت اليها من اللغة الفصيحة وهذا رهين بما يبذله غيري من جهد في هذا السبيل والله الموفق للصواب .

مستدرك :

بعد ان انتهيت من هذا الموجز بدا لي ان اضيف شيئا استدرك به فقد فاتني شيء كثير اذكر منه :

دحس : يقولون : دحس الشيء في الشيء اذا ادخله بقوة . وهذا من فصيح اللغة وجاء منه : دحس الثوب في الوعاء ادخله . قال ابن الاثير في النهاية : الدحس والدس متقاربان ومنه حديث عطاء : « حق على الناس ان يدحسوا الصفوف حتى لا يكون

بينهم فرج » أي يزدحموا ويدسوا انفسهم بين فرجها . وعلى هذا فالكلمة فصيحة واستعمال العوام لها صحيح وان خلت لغتنا المعاصرة من هذا الاستعمال .

ويقول العامة : « الاصبع مدوحس » والاصبع عندهم مذكر اي اصابه الداحس او الداحوس . جاء في « التاج » : سئل الازهري عن الداحس فقال : هو بثرة تظهر بين الظفر واللحم فينقلع منها الظفر . وهذا كله مما لا تعرفه فصيحتنا المعاصرة .

دغش : تقول العامة « حصل دغش » أي اختلاط يؤدي الى الغش والخداع . وفي فصيح اللغة « دغوشوا وتدغوشوا » اذا اختلطوا في حرب او صخب وما اشبه ذلك . الاولى عن ابن الاعرابي والثانية عن ابن عباد .

دفر : وهو من لغة العامة ويعني الدفع في القفا او الصدر بالرجل . وهو في اللغة الفصيحة خاص بالدفع في الصدر . ولا شيء من هذا في الفصيحة المعاصرة .

رفع : يقولون « خيط رفيع » ضد الغليظ وهو من الفصيح الذي لا نعرفه في لغتنا الحديثة . جاء في المصباح المنير (رفع) : ورفع الثوب فهو رفيع ايضا خلاف غلظ . وفي اساس البلاغة : ثوب رفيع ومرتفع . ولم يفسره وربما اراد به المعنى نفسه على سبيل المجاز .

رهدن : تقول العامة : « ترهدن » في الامر اذا توانى واستبطأ واستقر وفي لسان العرب : الرهدنة الابطاء وهذا ما لا نعرفه في عربيتنا الفصيحة في ايامنا .

طم : يقولون : طم الحفرة أي ردمها بالتراب . وفي اللغة الفصيحة مثل هذا وقد جاء في كتب التاريخ « فطم عليهما التراب » وهذا مما تجنبته فصيحتنا الحاضرة .

العربية والمصطلح العلمي

العربية احدى اللغات الحية . وهذا يقتضينا ان نفهم فنسلم بأنها لغة متطورة تخضع لما تخضع له اللغات الحية عامة . وهـي احدى لغات سامية اندثرت معالمها وامحت اصولها فلم تبق الا هذه اللغة القديمة . ولا بد من الاستطراد قليلا فأقول انها الوحيدة بين المجموعة السامية التي ثبتت على مر العصور في حين لم تثبت تلك اللغات . سيقول قائل ان العبرانية لغة قائمة وانا اقول ان هـذه العبرانية الجديدة ليست الا مادة جديدة اعيد بناؤها بصورة قسرية جبرية لتكون لغة مجاميع بشرية هي ليست لغتهم . ومن اجل هذا فان علم اللغة الحديث يرفض ان تكون هذه الاداة اللغة الطبيعية لهذه الاشتات المتنافرة .

ولا بد لي ان ادع هذا الاستطراد الموجز فأعود الـى العربية لاقرر انها اللغة الحية وانها ثبتت ازاء العصور . وانها كانت خير وسيلة للاعراب عن حضارات مزدهرة وآية ذلك ان العلم القديم بفكره وفلسفته وسائر ألوانه لم يكن له من وسيلة غير هذه العربية السمحة ولا اراني منساقا انسياقا عاطفيا حين اقرر انها كانت سيدة لغات العالم القديم خلال قرون متلاحقة ابتداء من القرن السـابع الميلادي ، ومن اجل هذا فقد كتب المفكرون من غير العرب ونسوا لغاتهم وقرروا ان لا سبيل الى الاعراب عن الفكر الفلسفي مثلا الا

بهذه العربية . ومن هنا كنا قد ورثنا هذه اللغة القديمة وكان لها من اسباب الحياة ما اعان على استمرارها بهيئة معلومة ذلك اننا معاشر العرب قد ورثنا تراثا ضخما هو مادة هذه اللغة . ولولا هذا التراث وعلى راسه كتاب الله – جل وعلا – لآل أمر هذه اللغة الى لغات عدة كما هي الحال مثلا في اللغات الرومانية التي تحولت الى الرومانية والايطالية والفرنسية والاسبانية والبرتغالية .

لم يكن شيء من هذا في العربية ، وذلك ان العربية ما زالت لغة امة بأسرها في بقاع فسيحة من العالم هي البلاد العربية . ولو عمل اهل العربية على رعاية هذه اللغة لكان لهم ان يوسعوا من هذه الرقعة فتعم لغتهم في بقاع افريقية وغير افريقية ممن فطروا على الاسلام دينا وآمنوا به فكرا وسلوكا . ومع كل هذا اننا نواجه مشكلات في هذه العربية بسبب اننا لا نملكها كما كان اسلافنا يملكون منها . واننا نتعلمها تعلما ونواجه في تعلمها الصعاب ، واننا قد نعزف عنها، شاعرين ام غير شاعرين، انسياقا مع مفهوم خاطىءضال هو ان هذه اللغة قاصرة عن مواجهة الفكر الحديث . ثم اننا مقصرون في تعلمها وهذا التقصير يعني ان وسائل تعلمها متخلفة عن العلم الصحيح في وسائل التربية الحديثة . ثم ان مادتها لا بد ان تكون شيئا آخر ليس ما درج عليه المعنيون بتدريسها .

ومن هنا كان علي ان اقول : اننا لا بد ان نسلم ان العربية لغة متطورة وان عربية عصرنا الحاضر غير العربية القديمة . ولعلي استطيع ان اقول ان عربية هذه الايام غيرها منذ عشرين او ثلاثين سنة . ثم اننا لا نملك هذه العربية بسبب ان سلوكنا اللغوي بعيد عنها فاننا نباشر طرائق في الكلام والخطاب مستمدة من مواد تتصل بما يسمى اللهجات الحديثة وهذه اللهجات الحديثة مختلفة في مستواها بين جهة واخرى ثم هي مختلفة في مستوياتها ومادتها بين الطبقات المختلفة في البيئة الواحدة .

كل هذا قد فرض علينا ان نتدبر امر اللغة الفصيحة ايمانا منا انها الوسيلة الوحيدة التي تصلح لحياة جديدة ذات حضارة جديدة هي الحضارة العالمية المعاصرة بتعقيدها وتركيبها . ثم علينا ان نقرر ان هذه العربية الفصيحة قادرة على ان تكون احدى اللغات العالمية للاعراب عن الحضارة الحديثة . قلت اننا لا نملك هذه اللغة فلا نستطيع ان نعبر بها تعبيرا يبلغ القصد كما لا نستطيع ان نؤدي بها كتابة ما يدور في افكارنا . ومن اجل هذا فلا بد من التفكير في المشكلة اللغوية .

اقول ان العربية ليست بدعا بين اللغات وانها ليست غريبة معقدة كما يدعي جمهرة من المثقفين العرب . وانها تملك من وسائل الحياة ما يقرر انها لغة عالية المستوى كما يؤيد ذلك علم اللغة الحديث .

اخلص من كل هذا الى اننا نتعلمها خطأ ، مادة ومنهجا . ومن هنا تكون المشكلات على ضربين ، الاول يتصل بالمادة والثاني يتصل بالمنهج .

الضرب الاول

لم يرد المختصون من علماء العربية والمعنيون بتعليمها من الاساتذة والمدرسين والمعلمين ان يقرروا ان العربية لغة حديثة وانها بسبب من ذلك ذات مادة حديثة ينبغي ان تعلم . وهذه المادة الحديثة تختلف عن المادة القديمة اختلافا بينا . وينبني على هذا ان لا بد لنا من ادب حديث ، وفكر حديث ، ونحو حديث ، واسلوب حديث ، ومعجم حديث ، وهذا لا يعني اننا نقتصر على هذه الالوان الحديثة وذلك ان النهج التاريخي يقتضينا ان نلم بالاصول فنسلم ان المادة اللغوية تخضع للتطور التاريخي . وان النظر الى اللغات

الحديثة المتطورة يهدينا الى ان مادة تلك اللغات التي تقدم للدارسين هي شيء حديث متصل من ناحية المسيرة التاريخية بالمواد القديمة.

ان هذا يفرض علينا ان نقرر ان النحو العربي ، مثلا ، لا بد ان يكون نحوا جديدا فهل نملك شيئا من ذلك الجواب : لا . اننا لا نملك شيئا من ذلك بسبب من ان العاملين في عملية التعليم التربوية لم يعانوا التفكير في هذه المشكلة الخطيرة .

اننا ورثنا النحو القديم وكان قد سلخ من عمره اثنا عشر قرنا . وكان السلف الاوائل قد وضعوا البداية النحوية ليكون مادة تدفع غائلة اللحن الذي تفشى في لغة المعربين من العرب بسبب مخالطتهم للاعاجم المتعربين الذين انضموا في المجتمع الاسلامي . ومن غير شك ان نحوا وضع ليفي بهذا الغرض لا بد ان يكون مادة تعليمية موضوعية كما نقول في عصرنا . غير انه ما لبث ان كان احد فروع المعرفة ابتداء من اوائل القرن الثالث الهجري . وهذا يعني انه صار مادة للدرس والاجتهاد وصار له اصحابه ممن عرفوا بالنحاة . ثم تحول اولئك فصاروا طبقات على ممر العصور ثم كان ان انتقل من مواد يسيرة يراد بها غرض تعليمي وهو عصمة اللسان من غائلة اللحن الى مواد جديدة لا يراد لها ان تكون ضوابط يسيرة لغرض تعليمي معروف . ولقد أدى هذا الى ان اصبح النحو مادة معقدة عسيرة المنال تبعد عن تناول المشكلة اللغوية ذلك انها اقتبست من المنطق الارسطي واساليبه ما احال المادة اللغوية الى شيء آخر . لقد تحول النحو الى النمط العقلي الذي يقوم على العلة والمعلول ، ومن هنا كان النحو علم الاعراب والى هذا اشار الزمخشري في مقدمة كتابه « المفصل » الى ان علم النحو هو الاعراب . وادى هذا الى ان صار النحو العربي يبحث في حركة آخر الكلمة . ولم يكتف النحاة بهذا بل بحثوا في علة الاعراب ، ومن هنا قرروا ان الاسم معرب لانه كيت وكيت وان كل ما اشبهه كان معربا . ومن اجل هذا شابه الفعل المستقبل الاسم فكان **مضارعا** له .

رب سائل يسأل وما ضير هذه النظرة على الحقيقة اللغوية ؟ والجواب عن هذا ان شيئا كثيرا يتصل بمادة الفعل قد اهمل . الا ترى انهم جعلوا حد الفعل : الحدث المقترن بزمن ! ولكننا لا نعرف وجه الزمن في باب الفعل في أي من كتب النحو القديم . ثم لم يكتفوا بالعلة الاولى حتى توصلوا الى ما اسموه بالعلل الثواني والثوالث . ثم كأنهم لمحوا ان الكلمة العربية معربة اصالة ولذلك اهتموا بالاعراب فنظروا اليه على انه اثر يجلبه **العامل** ولا بد من الوقوف عند هذه النظرة لنتبين اثر المنطق فيها . اقول : كأن الاعراب النتيجة التي أدى اليها **العامل** وهو السبب ، فاذا لم يروا هذا الاثر قدروه فكان الاعراب التقديري وهو شيء متخيل متوهم . ثم ان كانت الكلمة مما لا يقبل الحركة في الاخر سميت مبنية وهي لا بد ان تخضع لنظام جمهرة الكلمات في العربية وهي الكلمات المعربة فأعربت بنظام خاص سمي الاعراب المحلي وبذلك لا تفلت كلمة من الكلم في العربية من هذا الحكم .

اقول : ان المتتبع لمواد النحو في كتبه القديمة واقصد بالكتب القديمة تلك التي درستها اجيالنا السابقة في باب (علوم الجادة) وهي التي تدخل في آلات المتعلمين حتى جيلنا السابق ، ليجد مواد وطرائق بعيدة كل البعد عن النهج السليم في تحرير النحو في عصرنا ولا سيما في اللغات المتقدمة الغربية . ولا أرى فيّ حاجة لضرب الامثلة على ذلك .

ان هذه الكتب القديمة وجلها شروح للالفية وتعليق على شواهدها تختلف عن نظرات النحو بين المتقدمين من طبقات النحاة الاوائل . فأين هذه من آراء الخليل بن احمد وسيبويه في «الكتاب» .

ومما حمل الضيم على الدراسات النحوية في عصرنا انها اتخذت الالفية وشروحها الكتب الجامعية التي يدرسها الطلاب فضاقوا بها ذرعا والشكوى مريرة .

ومن نتائج هذه الدراسة ان الكتب المدرسية في المدارس الثانوية والاعدادية وحتى الابتدائية اتبعت شيئا مما جاء في تلك الكتب التي يقرؤها الدارسون في الدراسات العليا .

اريد ان اخلص من هذه المقدمة التاريخية الى ان العربية في اوائل تطورها وذلك في مطلع العصور الاسلامية قد حفلت بالثروة العلمية . وهذه الثروة العلمية كان لها مصطلح يكاد يكون مكتملا ناضجا . لقد توفرت في علوم العربية مادة اصطلاحية ضخمة ودقيقة .

لقد كان للنحاة الاوائل مصطلحهم الدقيق الذي عبر عن نضج كبير وادراك تام لسمو هذه اللغة بحيث لم تستطع القرون المتلاحقة ان تضيف الى المعجم النحوي شيئا من مصطلح جديد . ومثل هذا ينطبق على سائر علوم اللغة العربية فهناك مصطلح للبلاغة في علومها المختلفة وهناك مصطلح لغوي يشتمل على الالفاظ اللغوية والصرفية والعروضية . ثم بدأ بنشوء العلوم الاسلامية في ازدهار الحضارة الاسلامية ابتداء بعصر النبوة ، مصطلح اسلامي يتناول مختلف العلوم الاسلامية ، فلدينا مصطلح في الحديث بلغ الذروة في التدقيق والضبط ، ولدينا مصطلح لعلوم القرآن .

ثم كتب للعلوم الاسلامية ان تتسع دائرتها باتصالها بالجانب الفلسفي فنشأ علم الكلام وهو نواة الفلسفة الاسلامية . ومن هنا كانت استجابة العربية للعلوم الجديدة استجابة كاملة . فكان المصطلح الفلسفي تناول المادة الفلسفية في ألوانها المختلفة .

ومن هنا انطلق اللغويون الاقدمون واصحاب المعارف المختلفة لتنفيذ هذه الالوان الاصطلاحية فظهرت المصنفات التي تناولت الالفاظ الاسلامية وهي كثيرة وما زال في المكتبة العربية شيء من ذلك . وما كتاب « التعريفات » للشريف الجرجاني الا من هذا الباب ومثله كشاف اصطلاحات الفنون للتهانوي .

اقول : ان العربية الفصيحة استطاعت ان تكون لغة العلم خلال قرون عدة وقد كتب بها المختصون من عرب وغير عرب مسلمين وغير مسلمين ، ولقد وجد غير العرب ومن غير المسلمين انها امثل لغة للتعبير عن الفكر الفلسفي ، وان فيها ما يمد الباحث المتخصص بطائفة من الالفاظ الاصطلاحية . ومن اجل ذلك نقل اليها التراجمة النصارى فلسفة الاغريق وعلومهم ، ذلك انهم وجدوا ان السريانية لا تؤدي هذه الاغراض الجديدة .

ولكن المجتمع العربي بعد ان دهته الدواهي وتفرق أيما تفرق واستولى عليه الاعاجم انقطع عن حضارته فأصاب لغته الهرم واصبحت هذه اللغة شيئا بعيدا لا يتهيأ له ان يناله بيسر فعم الجهل وانقطع معين الحضارة الزاخر وسادت، ما سمي في التاريخ ، حقبة « الفترة المظلمة » .

اقول هي « المظلمة » بالقياس الى الجماهير الواسعة بحيث صارت العربية اهتمام الطبقة التي تسعى اليها متلقية متعلمة .

ثم جاء العصر الحديث وجاءت النهضة الغربية بحضارتها ومدنيتها ووجد العرب انفسهم متخلفين عنها ، ذلك ان مصادر العلم الحديث مصادر اجنبية ، وانهم لم يحذقوا لغتهم بل فقدوها ابان قرون عدة خلال الحكم العثماني فكيف يتاح لهم ان ينهضوا وان يواكبوا الحضارة الجديدة .

لا بد لهم من اداة لغوية تتعرب بها العلوم الحديثة ، ومن هنا نشأت مشكلة المصطلح الفني Le Terme Technique . لقد نهض المختصون فرادى وجماعات بهذا العبء الثقيل ونظروا في لغتهم نظر العالم الحاذق فوجدوا ان المرحلة الراهنة تدعو الى حل هذه المشكلة .

لقد اتبع الاقدمون طريقين لتوفير المصطلح الاول : انهم فتشوا

في العربية عن اللفظ السهل الذي لا ينصرف الى معان كثيرة فتواضعوا عليه مقابلا للمادة الاصطلاحية وبذلك انتقلت الكلمة العربية الى شيء من « مصطلح » .

والثاني : انهم لجأوا الى التعريب وقصدوا به ان تؤخذ الكلمة الاجنبية بأصواتها او بتغيير شيء من ذلك وضمها الى العربية بحيث لا تنأى كثيرا عن الابنية في اللغة العربية .

وبهذه الطريقة الثانية نشأت الفلسفة والموسيقى والهيولي والجغرافيا ثم سار على هذا الشيء المتأخرون فقالوا الفلسفة والدمقراطية والارستقراطية ومثل هذا كثير .

وقد جرى نفر من المحدثين على هذه الطريقة فحلا لهم ان يقولوا « التلفزة » او « التلفاز » للتلفزيون .

ان مواد العلم الحديث كثيرة ومن اجل ذلك لا بد ان تتهيأ مادة كبيرة من المصطلحات لتسد مسدها . وقد بذل المعنيون في هذا السبيل جهودا كبيرة في هذا الباب .

ولولا ان هذه الجهود مفتقرة الى التوحيد فيما بينها لامكن ان تحل هذه المشكلة . ومن هنا فلا بد من توحيد هذه الجهود المختلفة.

وما اراني الا مكررا الكلام على غنى العربية وطاقتها العظيمة في توفير المصطلح لقد كثر القول في هذا وكثرت الدراسات فأشير هنا الى قدرة العربية الاشتقاقية وانها تتوسع في الاشتقاق الى حد الاشتقاق من اسماء الاعيان كالماء والهواء والحجر والحديد والخشب وما الى ذلك .

وان لها من ابنيتها ما يعين على توفير مسائل كثيرة كالمصدر الصناعي الذي صنعت به النسبية والمادية والكهربائية والحيوية والدمقراطية والوجودية ومثل هذا كثير .

وان لها من ابنية اسماء الالة وسائر المشتقات مـا هو كفيل في توفير مادة اصطلاحية كبيرة .

ولقد دل الاستقراء على ان في العربية ابنية لم يلتفت اليهـا الصرفيون ولم يقيدوها في مصنفاتهم وهي تصلح ان تؤدي اغراضا علمية .

من ذلك مادة « فعال » بكسر الفاء وهي من ابنية اسماء الالة في اللغة القديمة وهي اسهل واولى من المشتقات القياسية .

وقد ورد مما جاء على هذه الصيغة مئات من الالفاظ التـي تستعمل ادوات وآلات ومن ذلك :

العيار والصمام والعفاص والخياط والرباط والوكاء والنقاب والقناع واللجام ومثل هذا كثير لا يأتي عليه الا الاستقراء الوافي في امهات كتب العربية .

ومثل هذه الابنية التي لم يفطن اليها المحدثون ما جاء علـى « فعلة » بضم العين مرادا به أسم المفعول القديم قبل ان تكون لـه قاعدة « مفعول » من الثلاثي ومنه اللمزة أي الملمـوز واللقمـة أي الملقوم والضحكة أي المضحوك منه وكان اهل الاقتصاد مصيبين كل الاصابة حين قالوا « العـُملة » بالمعنى المعروف .

ونستطيع ان نوصي توصيات عامة بشأن المصطلح الفنـي المقترح وهي :

١) ان يكون المصطلح من الالفاظ التي لا تنصرف معانيها الى مدلولات كثيرة .

٢) ان يكون المصطلح من الالفاظ السهلة اليسيرة في عدة بنائها من حيث الاصوات .

٣) ان تكون بسيطة لا مركبة قدر الامكان وبذلك يستغني ما امكن عن الالفاظ المنحولة والالفاظ المضافة .

٤) ان يكون المصطلح من الالفاظ المعروفة فلا يلجأ الى الغريب الا عند الضرورة او في حالة ان اللفظ الغريب كان مصطلحا قديما معروفا للمدلول ذاته .

٥) ان يكون المصطلح قائما على المادة المرادة فلا يشترك فيه موضوع آخر .

٦) يتجنب المعرب عند اختيار المصطلح ويفضل عليه الكلم العربي .

اخلص الى ان مشكلة المصطلح مشكلة خطيرة ينبغي ان ننظر اليها نظرا جادا وذلك لاننا في حقبة حرجة نقف فيها من الحضارة الحديثة موقفا خاصا يفرض علينا ان نكون واعين أشد الوعي .

خاتمة

اريد ان أقول ان حضارتنا الجديدة حضارة متفاعلة تأخذ من غيرها وتتأثر بما يجد في العالم المتحضر . ومن المنطق والعقل ان نكون قادرين على الافادة من الجديد الوافد الذي يفرض نفسه علينا والذي نحن محتاجون اليه أشد الحاجة ، كما نفيد مما ورثنا من قيم حضارية تغرس اصولها في مجتمعنا العربي معتمدة على روافد اسلامية ثرة .

ان العمل على الافادة من هذه المصادر الجديدة والقديمة يقتضينا ان نكون واعين أشد الوعي لنهتدي الى طريقة العمل والمنهج الذي نتبع كي لا نصل الى ما يسمى بـ « الانفصام » وهذا ما نشكو منه الآن . ان طائفة كبيرة من مثقفينا قد أفادوا من العلم الحديث والاختصاص الحديث وظنوا ان ذلك هو الدرع الواقية في حياة جديدة متطورة . لقد فاتهم ان الحكمة تقتضي ان يكون لنا اساس متين من حضارة، لا أتجاوز العلم فادعوها «وطنية» ، وان نهتدي الى شيء من التأليف بين جديد وقديم «Synthèse» على الا نؤخذ كثيرا ببريق التراث فنزهى زهوا يفقدنا واقعية العلم وموضوعيته .

فهرست

المؤسسة العربية للدراسات والنشر

من منشوراتنا :

١ ـ ملامح يونانية في الادب العربي

د. احسان عباس

٢ ـ الادب الصهيوني بين حربين

د. ابراهيم البحراوي

٣ ـ مريود (قصة)

الطيب صالح

٤ ـ صفحات مجهولة في الادب العربي

رجاء النقاش

٥ ـ تأملات في الانسان

رجاء النقاش

الثمن
٥ ليرات لبنانية
او ما يعادلها

المؤسسة العربية للدراسات والنشر
بناية صمدي وصالحة . ص.ب: ١١/٥٤٦٠
بناية برج شهاب . تلة الخياط . ص.ب : ١٩٥١١٩
برقيا : موكيالي . بيروت